مجلة البيان – العدد 51 ، ذو القعدة 1412هـ / مايو 1992م

الافتتاحية

أيها الأفغان :
اهزموا الحمية الجاهلية كما هزمتم الشيوعية

يكثر الحديث عن دور الإعلام في توجـيـه الأحداث والتحكم بسيرها ، وأوضح مثال على ذلك ما يجري في أفغانستان ، وكثرة اللاعبين والمتدخلين في مصير هذا البلد.

يبدو أنه كلما تقدم الزمن كلما كثرت التدخـلات بسـبـب سـرعـة الاتصال بين بني البشر وترابط مصالحهم وتعقدها ، وتزداد هذه التدخلات حدة حينما يكون المسلمون طرفاً فيها ، فالقوى التي تعادي الإسلام كثيرة وإن هي آلت في النهاية إلى فريقـين من الناس هم : الكفار والمنافقون الذين تحددت صفاتهم وملامحهم وقسماتهم في القــرآن الـكـريم وفـي سنة الـنـبـي -صلى الله عليه وسلم- . وهذه القوى الكافرة - السافر منها والمستتر - قد يكــون بينها خلاف سابق أو لاحق بسبب الـتـنـافس والحرص على الفوز بالنصيب الأكبر من كل ضـحـيـة تلــوح ، ولهذا فإن بعضها قد يقف مع المسلمين وينصرهم بالسلاح والمساعدات، فيظن من لا خـبــرة له أن هذا معونة ونخوة ، ولا يدرون أن هذا ليس إلا من قبيل تسمين الذبيحة،أو من قبيل حشد (البياطرة) لقطعان الماشية للعناية بصحتها لتكون أفضل إنتاجاً، أو لإنقاذ حيوان نادر مهدد بالانقراض .

إن كثيرين يظنون أن هناك دوافع إنسانية تكمن وراء هذه المساعدات لمجرد (الإنسانية) لا لـشـيء آخر ، ويغفلون عن حقيقة وأهداف هذا الرفق بالإنسان والحيوان ، وهو توفير جو من الاستـمـتـاع الـمـادي (والفني) الرومانسي بالإبقاء على هذه الفصائل التي يتعاورها ما يهددها بالانقراض والإبـــادة لإشباع ميول الإنسان المتحضر وإرضاء فضوله وحب المعرفة عنده .

هــذه أفـغـانـسـتان، ملحمة من ملاحم المسلمين في العصر الحاضر، دولة مسلمة مسالمة، لا أطماع لها فيما حــولـهــا، نـكـبتها الشيوعية بواحدة من نكباتها الكثيرة التي نكبت بها الشعوب ، فهب شعبها - بما عـــرف به من بأس وأنفة وإباء للضيم - هبة واحدة ، ولم يقبل بالظلم وإن كان من جار جــبـار لا تقاس قوته إلى قوته ، ووقف كثير من المسلمين مع هذا الشعب مادياً ومعنوياً ، ولم يــسـع الغرب أن يقــف مكتوف اليدين أيضاً ، فما الذي يمنعه أن يمد يد العون إلى من يكيل الضربات للشيوعية العدو الراهن للغرب؟!

ففعل ، وفي الغالب فإن المنكوب لا يدقق في المساعدات التي تصله : مـــــاذا وراءها ، وإلى ماذا ترمي؟ وبـخـاصــة إذا أصابت هذه النكبة شعباً كاملاً

بمختلف عناصره ، بل كانت هذه المعونات تقدم أحياناً على طبق الآخرة الإسلامية وإغاثة الملهوف.
ومـــنـــذ أن أذن الله بـهـزيمة السوفييت وانسحابهم من أفغانستان ، والتداول مستمر بشأن أفغانستان : (هزيمة للسوفييت : نعم ، ولكن انتصار للإسلام : لا). ويقود كبر تحقيق هذه المعادلة أعداء الإســـلام في المنطقة وخارجها ، وهم معروفون بمسعاهم وحرصهم المستميت على أن لا يسمحوا لمن ضــحــوا الـتـضـحـيـات الجسام بأموالهم وأنفسهم أن يقطفوا ثمرة جهادهم .وقد شاهدنا - وشاهد العالم بأسره - حــرص الــدوائـــــر الغربية - التي يظهر إعلامها بواطن ما تخفيه - على إبراز من تـريـــد والإشادة به ، وإخفاء من تريد والإساءة إليه بإلصاق الصفات المنفرة به ، وإظهاره بمظهر المتعطش للدم ، الهاوي للخراب .
ولكن المسلم أصبح في هذه الأيام ، ولطول ما عانى من أكاذيب هذا الإعلام يكتشف بشكل لا شعوري أين تكمن الحقيقة ، ويتجه مباشرة بولائه إلى الجهة التي يناصبها هذا الإعلام عداءه ، حتى ولو كانت عليها مآخذ أخرى .
إن مشكلة أفغانستان كغيرها من المشاكل التي تقع في الــبــلاد الإسلامــيــة، هي مواجهة حقيقية للظروف الصعبة التي تحيط بالمسلمين ، وسبيل من سبل المواجهة لـقــوى التدخل الخارجي التي تفرض وجهات نظرها على الشعوب ، وتحاول أن تتحكم بمصائرهم . فهذا الجهاد الطويل ليس إلا محاولة لإفهام هذه القوى الخارجية أنه من العبث اســتــخـــدام عملاء تصنعهم على أعينها كي يسلموها مفاتيح البلاد ، ويرتهنوا مستقبل أجيالها لمصلحة الأجنبي الدخيل. ومن الخطأ الاعتقاد بأن التدخلات لا يعبر عنها إلا بدخول الأجـنـبــي البلاد ، ثم تنتهي برحيله ، إن السوفييت ارتحلوا ولكن خلفوا وراءهم تــركــة ثـقيلة من الهدم والخراب في البنيان والنفوس ، وتظن القوى الخارجية الأخرى التي فركت أيديها فـرحــاً بـهـزيـمــة السوفييت وانهيار الشيوعية أن بإمكانها ملء الفراغ الناجم عن ذلك ، واستثمار الدمار والشقـوق الموجودة في المجتمع الأفغاني ، وتضخيمها ، وهي لا تهدأ عن دفع محاولاتها الـدائمة في استثمار كل شيء لتحقيق أهدافها . ولا ينبغي أن ينسى المسلم أن وسائل هذه القوى أخبث ، وطرق تأثيرها أكثر تعقيداً وأبعد أثراً .
فمن يأتيك شاهراً قـبـضـتــه يـسـتـنـفـر كل عوامل الدفاع عندك ، ويضاعف قوتك أضعافاً مضاعفة . ولكن من يأتيك بالمال والــرغــيــف وباقة الزهر والبسمة ، وإظهار الحرص على إخراجك من محنتك ومشكلاتك... يوقع في نـفـسـك الحرج ، "والنفوس مفطورة على حب من أحسن إليها"! وهكذا يصبح التشكيك في نـــوايـــــا هؤلاء المحسنين الأدعياء وسيلة من وسائل انشقاق المجتمع وبث الفرقة والفتنة في صفوفه .

المعونات وسيلة من وسائل الارتهان

لا يحسن أن يغيب عن أذهان المسلمين - اليوم - أن المعونات الاقتصادية والعسكرية الآتية من المجتمعات الغربية وسيلة من وسائل التحكم بالمصير والارتهان لسياسات لا تتلاءم مع الشعور الإسلامي ، فهذه المعونات ليست لله ، وهذه صحيفة أمريكية تظهر الأسف والندم على تقديم المعونات لقلب الدين حكمتيار بحجة أنه ظهر أنه معاد للغرب ، ولكن لم تبين لنا هذه الصحيفة المحترمة ما المظهر العملي لعداء المذكور للغرب ، هــل أغـــار على بلد غربي ؟ أو سفك دماء غربين أبرياء ، أو يفكر في إقــامـــة حـكـــومة إسلامية في ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية ؟! أم أن جريمته بنظر هؤلاء أنه يقول : نقبل المساعدات على أنها مساعدات مجردة ، ولكن أن تكون هذه المساعدات ثمناً لشيء غير الشكر فلا ؟!
وعلى كل حال ، فإن أجهزة المخابرات حينما تتفضل بتقديم المساعدات لهذا الـفــريق من المسلمين أو ذاك تعرف كراهية ومقت المسلمين للإذلال والمن وما تنطوي عليه صـــدورهـــم للدول الغربية الاستعمارية من بغض سواء قدمت مساعدات وإغاثات أم لا ، ولكن هـــــذه الأجهزة تراهن على ضعاف النفوس الذين لابد أن يخرجوا من بين ظــهــرانـــي المسلمين مدفوعين بالحرص على الجاه والشهرة وحب السلطة ، وهؤلاء هم سبب البلاء في كل عصر ومصر ، وهم العقبات التي تجهض جهاد المسلمين ، وتذرو جهودهم وأعمالهم في الرياح . إن المطلوب من المجاهدين أن يسدوا الشقوق التي يستغلها أعداء الإسلام بوحدتهم ونظرهم البعيد للأمام، وبوضعهم أهواءهم الشخصية تحت الأقدام، فليسوا أشد حاجة إلى التلاحم والاتحاد وتنقية الصفوف منهم في هذه اللحظة، لكن الإصرار يجب أن ينصبَّ على تحييد هذه المجموعات التي كانت مرتزقة للنظام السابق، وكــذلك عـــدم الـسـمــاح للشيوعيين السابقين باحتلال مناصب حساسة تجعلهم يسيرون الأمور من الداخل لمصالحهم ، وليتعظ المجاهدون بأحوالى اليمن ، حيث نجا الشيوعيون من الحساب باسـتـبـاقــهم الأحـــداث ودعوتهم إلى الوحدة - وهم أعداء الوحدة - وبأحوال الجمهوريات في الاتحاد السوفيتي المنهار ، حيث لازال الشيوعيون السابقون الذين أذاقوا المسلمين الأمرين وكانوا "طابورا خاسما" ضد بني قومهم .. لازال هؤلاء الشيوعيون هم الحاكمين وعلى وجوههم الصفيقة غلالة من النفاق والخبث والمكر يستخدمونها لتضليل الناس وخداعهم ، أولئك هم العدو ، فأحذرهم ((قاتلهم الله أنى يؤفكون)) .
إن المسلمين في كل مكان يتطلعون إلى أفغانستان وأيديهم على قلوبهم ، يشفقون على أن يتبخر حلم المجاهدين بإعادة العزة إلى شعب أفغانستان ، ومن ورائه الشعوب الإسلامية التي بعث فيها الجهاد الأفغاني نسمة الحياة ، فالله الله - أيها الإخوة - في ذلك الحلم أن يتبدد ويضمحل . وكما أسقطتم الشيوعية وعملاءها المطلوب منكم أن تتنبهوا للغرب وعملائه ، وقبل ذلك

وأهم منه : أن تدوسوا الركائز التي يرتكز عليها الغرب في تحقيق أهدافه وهي : العصبية القبلية ، والحمية الجاهلية ، والأهواء الشخصية .

في إشراقة آية:

((وقل اعملوا ..))

د. عبد الكريم بكار

خلق الله تعالى الجنة داراً لتكريم أوليائه ، فوفر فيها كل شروط التكريم ؛ وخلق النار داراً لإهانة أعدائه ، فوفر فيها كل شــروط الإهانة ؛ وخلق الدنيا داراً لابتلاء الفريقين ، فوفر فيها كل شروط الابتلاء .

إن هذا الدين يعلمنا أن كل ما يحيط بنا في دائرتي الزمان والمكان يمثل بالنسبة لنا ضرورة تتحدانا ، وعلينا أن نعيه ، ونتصرف معه التصرف اللائق بالإنسان المكرم المبتلى .

إن كل لحظة تمر على الإنسان في هــذه الـحـيــاة هي لحظة اختبار ، وهي في الوقت ذاته ضرورة تتحدى ، وهي (كم) يتطلب منا تكييفاً مناسباً ، فإذا لم نستطع تكيف تلك اللحظة مضت تاركة وراءها قيداً على حرياتنا ووجودنا! وإن التكييف في موازين هذا الدين السمح قد يأخذ في بعض الأحيان صورة اعتبارية محضة، كما هو الشأن مع الذي يبادر إلى فراشه فيما يتمكن من حضور صلاة الفجر مع الجماعة ؛ فإنه قد كيف كل لحظه نوم بما انطوت عليه سريرته من قصد . وعلى هذا فإن البطالة والنوم - غير المكيف - ضربان من ضروب الفناء والعبودية المكبلة بالأغلال!

إن كل ما حـولـنا من فـكـر ومادة وضرورات هي الأخرى تنادي الإنسان المبتلى كي يتحرر من قــيــودهـا بتكيـيـفها؟ إن الفكرة الصحيحة تتحدانا كي نعممها ، وإن الفكرة الخاطئة تتحدانا كي نفندها ونحجـمـهـا ، وإن الفكرة الغامضة تتحدانا ؛ لننفذ إلى جوهرها ، كما أن الفكرة القاصرة تتحدانا لنطورها .

إن الأرض تتحدانا لنزرعها ، فإذا قبضنا على منتوجها تحدانا هو الآخر كي نصنعه على الوجه الأمثل. إن نديف القطن يـتـحـدى النساجين ، فإذا ما صار قماشاً دخل في طور من التحدي جديد ، فلئن كان الـنـسـاجون قد تحرروا من قيود النديف فقد وقع الخياطون في ضرورة النسيج إلى أن يحيلوه ثوباً جـمـيلاً . فإذا ما عجزت أمة عن أن تخيط نسيجها بين يديها ، أو تزرع أرضاً خصبة تملكها تـحـول ذاك وهذا إلى قيود على حريتها ووجودها ، وإن من القيود ما يقتل ، ومنها ما يشل ، ومنها ما يشوه...

وليس انتقال الإنسان من ضرورة إلى أخـــرى انـتـكـاساً أو زجاً له في دائرة مغلقة - كما قد يتوهم - فنحن إذ نتردد بين مشكلاتنا وحلولها إنما نمضي في حركة لولبية صاعدة تمنحنا المزيد من الحرية والقدرة والتأنق .
إن كـل ســلـعــة مـصـنـعـة نـسـتـوردها هي عبارة عن ضرورة نطوق بها أعناقنا، وإن أشد المستوردات خطراً على حريتنا تلك التي تكون أكثر إلغاء للعمل عند مستوردها؛ لأن العمل هو الحرية ، والذي يلغيه يلغي الحرية. ذلك لأن السلعة المصنعة كانت من قبل مادة غفلاً وكان لإمـكـانـنا أن نمارس حريتنا في تصنيعها وتحويلها ، وقد صودرت هذه الحرية حين قام بتشكيلها غيرنا .
وقد أدركت الأمم المتقدمة هذه الحقيقة فتسابقت إلى استيراد المواد الخام ، ووضعت القيود على اســتـيراد الـسـلــع الـمصنعة؛ فهي لا تبادل الدول الأخرى منها إلا قدراً بقدر حتى تمارس حريتها كاملة؛ وترى ثمار ما عملته أيديها..
إن حرية الفرد في المجتمع على قدر عمله، فإذا ما أخذ من الآخرين أكثر مما يعطيهم فقد من حريته مقدار ما يزيد لهم عنده. وإن أقسى ما يواجهه الحر الكريم أن يرى نفسه غارقاً في عطاء الآخرين دون أن يكون لـديــه ما يعطيهم ؛ لشعوره بأن ذلك على حساب حريته، أي : على حساب وجوده !!
إن العمل هو طريق الخلاص ، وهو طريق تحقيق الذات ؛ ولكن هل كل حركة بركة ، وهل كل عمل هو كسر للقيود وإعتاق للرقاب؟؟
لاريب أن الأمر ليس كذلك ، فالسكون في أيام الفتن - مثلاً - خير من الحركة ، ورب حركة متعجلة قصد منها كسب الحرية أدت إلى الرسف في أغلال العبودية سنين طويلة ، ذلك لأن العمل عبارة عن غزو الصورة للمادة ، وإذا ما شكلت مادة ما على صورة خاطئة فإن هذا قد يعني الحرمان منها باعتبارها كماً ، وباعتبارها كيفاً ؛ لأن أشياء كثيرة قد لا تقبل أن تتشكل إلا مرة واحدة!!
إنه لا بد من توفر شرطين أساسيين في العمل الكريم ، هما الصواب والإخلاص ، أي القوة والأمانة ، أو القدرة والإرادة ، وإن كان بعض الأعمال يعتمد على أحدهما أكثر من اعتمادها على الآخر ؛ فأعمال الآخرة تعتمد على الإخلاص أكثر من اعتمادها على الصواب ، وإن يكن الصواب أساسياً . وأعمال الدنيا تعتمد على الصواب أكثر من اعتمادها على الإخلاص ، فكلما كان الإخلاص أعظم كانت المثوبة أكبر ، وكلما كان الصواب أكبر كان النجاح أكثر ، تلك هي سنة الله .
وتقاس حيوية المجتمع بقدر ما يمور به من حركة الفكر واليد ؛ وعلى هذا الصعيد فقد فجر الإسلام طاقات المسلم على مستوى القيم ، وعلى مستوى الأداء بصورة قل نظيرها في التاريخ ، فشيد المسلمون في قرن من الزمان حضارة زاهرة ظلت تعطي وتقاوم عوامل الفناء نحواً من عشرة قرون ، ثم

صارت المجتمعات الإسلامية ، من أقل مجتمعات الأرض حراكاً وعطاء ، فما هو السبب الذي أفضى إلى هذه الحالة المنكورة ؟
في مقاربة أولية للوقوف على جواب هذا التساؤل الكبير ، يمكن أن نقول أولاً : إن ظاهرة كبرى كظاهرة الركود الحضاري أكبر من أن تفسر بعامل واحد ؛ ولكن بإمكاننا أن نسلط الضوء على عامل نحسب أنه كان على جانب كبير من التأثير في هذه الظاهرة ، هذا العامل هو انخفاض مستوى الإيمان بالله - تعالى - أو انخفاض جوهر ذلك الإيمان ، أعني (الصلة بالله تعالى) . حقاً لقد ظلت قيمة الإيمان في أعلى السلم القيمي للمسلمين ، ولكن ذلك وحده غير كاف لإطلاق الطاقات وتوجيهها نحو بؤرة محددة ما لم تتوفر شروط موضوعية في الإيمان نفسه ، وفي البيئة التي يعمل فيها .
وإنما كان ذلك هو السبب في تصورنا ، لأن بنية الثقافة الإسلامية تتمحور داخلها العلاقات حول ثلاثة أقطاب هي : الله - سبحانه - ، الإنسان ، الطبيعة . وإذا أردنا تكثيف هذه العلاقات حول قطبين أثنين لكانا: (الله ، الإنسان) .
وأما الطبيعة فإنها هامشية نسبياً ما أن وظيفتها تتركز في كونها إحدى الدلائل على وجود الله ، وكونها مجالاً للابتلاء ؛ فالمسلم يكتشفها ويعمرها امتثالاً لأمر الله تعالى ، وهذا على خلاف ما هو مستقر في العقل اليوناني الأوربي الذي تتمحور العلاقات فيه على الإنسان والطبيعة . أما فكرة (الإله) فيه فهي عون على كشف الطبيعة ، أي إنها تقوم بالوظيفة نفسها التي تقوم بها الطبيعة في الثقافة الإسلامية . ومن هنا فإن تعامل المسلم مع الطبيعة ليس مباشراً ، ونظرته إليها معيارية قيمة ؛ فعلى مقدار ما يتوهج الإيمان في صدره يكون تفاعله مع الطبيعة ويكون عطاؤه الحضاري ، فإذا ما خبا الإيمان في صدره - لسبب من الأسباب - انحبس جهده في البناء الحضاري ، أو فتر . وليس كذلك الشأن عند أهل الحضارة المادية . ولا يكفي أن يتوهج الإيمان في صدور أفراد قليلين في المجتمع الإسلامي لاستئناف مسيرة الحضارة الإسلامية ؛ لأن الحضارة ظاهرة اجتماعيه لا ظاهرة فردية .
ونلمح هذا المعنى شائعاً في الخطاب القرآني كله ؛ فكثيراً ما تفتتح آيات الأوامر والنواهي بـ ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا..)) وكثيراً ما تختتم بـ ((إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ..)) ((لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ..)) ؛ تذكيراً بأن الايمان المتألق هو الذي يطلق طاقات المسلم ، ويفعل القيم لديه . ولم تشذ الآية الكريمة التي نحن بصددها عن هذا النسق حيث يقول سبحانه : ((وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)) فقد ربطت العمل برؤية الله تعالى لهذا العمل ومجازاته عليه في الآخرة.
وقد أدى الضعف في فاعلية المسلم وحركته اليومية إلى وجود خلل كبير في حياة المسلمين فصارت بلادهم أفقر بلاد الله ، كما أن نظامهم الرمزي الذي

كان في يوم من الأيام أغنى نظم العالم بالأبطال العظام صار اليوم مجدباً على مستوى الكم والكيف !!
ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل إن الأزمة على صعيد الفعل أدت إلى وجود أزمة خطيرة على صعيد (الفكر) ؛ ذلك لأن العقل عقلان على حد تعبير (لالاند) عقل فاعل ، وعقل سائد . أما العقل الفاعل فهو النشاط الذهني الذي يقوم به الفكر حين البحث والدراسة ، وهو الذي يصوغ المفاهيم ويقرر المبادئ . وأما العقل السائد فهو مجموع القواعد والمبادئ التي نستخدمها في استدلالاتنا . فليس العقل السائد شيئاً غير الثقافة . والعقل الفاعل أشبه شيء بالرحى ، والعقل السائد أشبه شيء بالقمح يلقى فيها ؛ وماذا تصنع رحى لا قمح فيها؟! ومن أين ستأتي الثقافة لأمة لا تحرك يداً ، ولا تبني نموذجاً إلا في نطاق الضرورات إن كل انحباس في حركة اليد سيؤدي الى انحباس في حركة الفكر ، وكل انخفاض في وتيرة الإيمان سيؤدي - لدى المسلم - إلى انخفاض في تردد اليد . فهل كتبنا الحرف الأول في أبجدية البداية ؟

خواطر في الدعوة

عالم الاقتصاد

عندما آخى رسول الله -صلى الله عـلـيــه وسـلم- بين المهاجرين والأنصار في بداية تكون الأمـة المسلمة والدولة الإسلامية لم يكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقــرر مـبــدءاً أخلاقياً أو اجتماعياً فحسب ، بل حل مشكلة اقتصادية واقعية ، فالمهاجرون الذين تركوا أموالهــم وديارهم في سبيل الله لابد أن يعيشوا عيشة كريمة وهم يؤسسون مجتمعاً وأمـــة، وإذا لم تحل مشكلتهم فماذا هم فاعلون ؟ هل يضربون في الأرض يبحثون عن الرزق حتى يعولوا أنفسهم وأهليهم ، وإذن لا يستطيعون المساهمة في تأسيس هذا البنيان العظيم .
فهذا الحل لابد منه في مثل هذه الأحوال ليشعر الفرد المسلم أنه في حماية وطمأنينة مــن هذا الجانب ، وأنه لن يُضيّع من إخوانه الذين سار معهم على درب الإيمان ، وعــنـدئـذ سترتفع طاقته الإيمانية والعملية أضعافاً مضاعفة ، فلا يصبح ترك الفرد المسلم وحــيداً في ميدان الصراع والكد والتعب في مرحلة تأسيس الدعوة ، لأن ذلك يقلل كثيراً مــن فـــرص الإبداع والإنتاج .
وفي هذه الأيام العصيبة التي يرزح تحت وطأتها غالب المسلمين في العالم ، ويظهر الغرب بقوته الاقتصادية التي يضغط بها على الشعوب والدول ليفرض شروطه المذلة ابــتـداء من البنك الدولي وانتهاء بجعل الدول الأخرى دولاً استهلاكية تشتري كل ما ينتجه الغرب ، كما أن أصحاب الجاه والمال من الذين أشربوا في قلوبهم كره الإسلام يستخدمون العامل الاقتصادي للضغط على المسلمين وإذلالهم لمحاربة الإسلام بشتى الوسائل ؛ نتساءل هنا: أين

المسلمون من عــالـــم الاقتصاد والتخطيط الاقتصادي ، عالم المال الذي يسخر لإحقاق الحق ، لماذا لم يُقتحم حتى الآن ، ولماذا يغلب على الذين اقتحموه الفشل والخيبة ، متى يــصـبـح الـمـسلم (إنساناً اقتصادياً)(1) يعرف قيمة المال الذي سماه الله سبحانه وتعالى في القرآن (خيراً) ؟
وبما أن المسلم لا يحب أن يتهم بالجشع والبخل والتكالب على الدنيا فهو يتهرب من آن يــكــون (اقتصادياً) وهذا هو الخطأ واللبس في فهم هذه الناحية المهمة في حياتنا ، وكأنه ينسى كيف كان بيت مال المسلمين في عهد عمر -رضي الله عنه- ، وكيف كان يحاسب على النقير والقطمير ، وكيف كان يهنأ(2) إبل الصدقة حفظاً لثروة الأمه .
إن الـمـسـلـم الــذي يفهم الإسلام فى مراميه القريبة والبعيدة لا بد أن يكون (اقتصادياً) ، والعربي عندما لا يتحضر بحضارة الإسلام سيعود إلى الإسراف والتبذير الذي يظن أنه كرم وهو ليس بذلك ، وبـعـضــه يصل إلى حب السمعة والرياء والأمة المسلمة لا يجوز أن تكون فقيرة تعيش على صدقات أعدائها .

الهوامش :

1- لا نعني الادخار الشخصي أو التضييق والبخل في الإنفاق، وإنما حفظ المال بكل أنواعه وتسخيره للصالح العام .

2- يداويها ويطليها بالقار بنفسه .

العقيدة الإسلامية

تاريخ النشأة وعوامل التدوين

عثمان جمعة ضميرية

ألمحنا في العدد السابق إلى أن الصـحـابــة - رضــوان الله عـليهم - لم يكونوا بحاجة إلى تدوين العلوم في العقيدة والشريعة وغيرهما ، فقد كانوا يتلقون مـن الـنـبي الكريم مباشرة ، في كل ما يتصل ويتعلق بأمور الدين والدنيا ، والقرآن الكريم يتنزل على النبي - صلى الله علـيـه وسلم - فيصقل النفوس ويزكيها ، ويربي الأمة ، ويعالج ما يطرأ مــن مـشـكـلات، ويجيب عــن التساؤلات ، ويحمل المؤمن على الالتزام بالأوامر الإلهية ، فيتم التفاعل مع النصوص الشرعية : قرآناً ناطقاً ، وسنة عملية حادثة .

وكان الـجـيــل الأول على عقيدة نقــية صافية ، ببركة صحبة النبي ، -صلى الله عليه وسلم- ، وقرب العهد بزمانه ، ولـما فُطِروا عليه من سليقة تمكّنهم من الفهم بعد التلقي ، فالقرآن الكريم يـتـنـزل بلـغـتـهـم التي يفهمونها وتجري على ألسنتهم كما جري الــدم في عروقهم ، مما جعلهم جميعاً على

عقيدة واحدة لا يختلفون فيها ، رغم ما قد يقع بـيـنهم من خلاف في بعض الأحكام الشرعية العملية الأخرى .
وقد كان الصحابة يسألون النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أمر العبادات وما يتعلق بـهـا مما لله تعالى فيه أمر أو نهي، كما سألوه عن أحوال القيامة والجنة والنار ولم يكن أحدهم يسأله عن معنى ما وصف الله به نفسه في كتابه وبما أوحى إليه من الصفات الإلهية ، كما أن أحداً منهم لم يفرِّق في الصفات بين كونها صفة ذات أو صفة فعل، وإنما أثبتوا لله تعالى صفات أزلية تليق بجلال الله تعالى وعظمته، فأطلقوا ما أطلقه الله تعالى على نفسه الكريمة مع نفي مماثلة المخلوقين ، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا . ولم يكن أحد منهم يستدل على وحدانية الله تعالى ، وعلى إثبات نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- بغير كتاب الله تعالى ، وما عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا المناهج الفلسفية المتأخرة(1) .
ففي الدليل على معرفة الخالق ووحدانيته ، يستدلون بقول الله تعالى : ((قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ ومَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ومَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ)) [يونس: 31]... ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن ولَدٍ ومَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إلَهٍ إذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بِمَا خَلَقَ ولَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ)) [المؤمنون: 91]... وأمثال ذلك من الآيات .
ويستدلون على صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمثل قوله تعالى ((قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ والْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)) [الإسراء:88] . وأما اليوم الآخر والبعث فيستدلون عليه بمثل قوله تعالى : ((وضَرَبَ لَنَا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ...)) [يس: 78-79] ..
لهذا كله لم يكن الصحابة والتابعون بحاجة إلى تدوين علم العقيدة أو أصول الدين ، وإلى ترتيب مباحثه كتباً وأبواباً وفصولاً ، كما نجد اليوم مثلاً .
ثم جدّت بعد ذلك أمور اقتضت تدوين مسائل العقيدة في علم مستقل ، وتضافرت على هذا جملة من العوامل الداخلية والخارجية .
وفي هذه المقالة إشارات إلى ما نحسبه مؤثراً من العوامل الداخلية في نشأة التدوين وتطوره بالنسبة لعلم العقيدة ، لنخصص بعد ذلك مقالة أخرى - إن يسر الله تعالى لنا ذلك - للعوامل الخارجية .

-2-

التحق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالرفيق الأعلى بعد أن ترك في هذه الأمة ما إن تمسكت به لن تضل بعده أبداً : كتاب الله وسنة رسوله .
وكان كتاب الله تعالى محفوظاً بحفظ الله تعالى ، جمعه الصحابة في صدورهم وكتبوه في الصحف ، على ما كان متيسراً من وسائل الكتابة ،

ليكون ذلك وسيلة لتحقيق وعد الله تعالى بحفظه ، مع وسائل أخرى ، فتوفر لهذا الكتاب الكريم ما لم يتوفر لأي كتاب آخر غيره سماوياً كان أو غير سماوي .
أما الحديث وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- ؛ فلم تدوّن رسمياً في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كما دون القرآن الكريم . وكان أول من فكر بجمع السنة وتدوينها : عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- وقام الإمام الحافظ ابن شهاب الزهري بتدوين ما سمعه من أحاديث الصحابة غير مبوب على أبواب العلم ، وربما كان مختلطاً بأقوال الصحابة والتابعين . ثم شاع التدوين في الجيل الذي يلي جيل الزهري ، في النصف الأول من القرن الهجري الثاني ، مع ضم الأبواب بعضها إلى بعض في كتاب واحد - على ما فعله الإمام مالك في "الموطأ" والبخاري ومسلم في »صحيحيهما« وأصحاب »السنن« في كتبهم(2) .
وبعد أن كان أهل الحديث يجمعون الأحاديث المختلفة في الصحف والكراريس ، أصبحوا يرتبون الأحاديث على الأبواب مثل : باب الإيمان ، باب العلم ، باب الطهارة ، باب الطلاق.. باب التوحيد ، باب السنة ، وهكذا .
فكأن هذا التبويب لـلأحاديث ، كان النواة الأولى في استقلال كل باب - فيما بعد - بالبحث والنظر والعناية والتدقيق وبيان الأحكام ، فعن أبواب الوحي والإيمان والسنة والتوحيد.. نشأ علم العقيدة ، واستقل عن العلوم الأخرى المستنبطة من الكتاب والسنة . هذه واحدة .

- 3 -

أما الثانية : فقد كان المسلمون عند وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه ، غير من أظهر وفاقاً أو أضمر نفاقاً.. وكانوا على كلمة واحدة في جميع أصول الدين ، وإنما كانوا يختلفون في فروع مسائل كثيرة عملية ، وكان اختلافهم هذا لا يورث تضليلاً ولا يوجب تفسيقاً(3) ، لأنه في أمور لا تمس العقيدة وإنما هي مسائل فرعية ، ثم هي مما لم يرد بها نص صريح عن الله تعالى أو عن رسوله -صلى الله عليه وسلم- ، أو جاءت في بعضها نصوص مختلفة في ظاهر الأمر .
ثم اختلف الناس في أشياء اتخذها قوم من بعدهم تكأة : إمَّا للطعن في بعض الصحابة ، وإما جعلوها أساساً لنِحلتهم ؛ أو استدلوا بها في مسألة من مسائلهم التي اتخذوها شعاراً لهم ، ثم تعمق الخلاف وأدى إلى نشوء جماعات متفرقة .
يقول الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله : »اختلف الناس بعد نبيهم -صلى الله عليه وسلم -في أشياء كثيرة ، ضلل بعضهم بعضاً ، وبرىء بعضهم من بعض ، فصاروا فرقاً متباينين وأحزاباً متشتتين إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل

عليهم . وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم -صلى الله عليه وسلم-: اختلافهم في الإمامة.. وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم«(4) .
وبعد هذا الاختلاف قامت كل فرقة تجادل عن رأيها وتؤيده بالأدلة ، وتدفع رأي الآخرين وترد عليه ؛ فوضعت في ذلك كتب ومؤلفات ، فكان ذلك من عوامل نشأة الكتابة والتدوين في هذا الجانب .

-4-

ونضيف هنا عاملاً ثالثاً : وهو : ما نجم وظهر من البدع والانحرافات عن العقيدة الصافية التي كان عليها جيل الصحابة - رضوان الله عليهم - بعد سنين من خلافة علي -رضي الله عنه- .
وقد تتبع المقريزي -رحمه الله- نشأة هذه البدع ورصد سيرها منذ حدوث القول بالقدر ، وتبرأ عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- من أصحاب هذه البدعة ، وحدث أيضاً في زمنهم : مذهب الخوارج وقد ناظرهم ابن عباس واقام عليهم الحجة . وحدث في زمنهم مذهب التشيع لعلي بن أبي طالب والغلو فيه ، وقام في زمنه عبد الله بن سبأ وأحدث القول بوصية الرسول لعلي بالإمامة من بعده ، وابتدع القول بالرجعة بعد موته.. ومنه تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة .
ثم حدث بعد عصر الصحابة مذهب جَهم بن صفوان في نفي الصفات وإثارة الشكوك والشبهات . وفي أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال ، وكانت بينهما مناظرات وفتن كثيرة متعددة أزماتها(5)..
ولما ظهرت هذه البدع ، وقف علماء السلف وأهل السنة دون عليها ويحذرون منها ، ويوضحون أصول العقيدة ، ويدعون للتمسك بالكتاب والسنة . فكان ذلك واحداً من الأسباب والعوامل التي ساعدت على تدوين العقيدة الإسلامية في كتب خاصة .

- 5 -

وهناك عامل رابع كان له أثر في تدوين العقيدة ، وهو اختلاف طبيعة المنهج الذي سلكه المسلمون بعد عصر الصحابة في التفكير والفهم لمسائل الألوهية والعقيدة بعامة ، نشأ عنه الانشغال ببعض المشكلات التي لم تظهر مبكرة ، أو لم يكن هناك ما يدعو للانشغال بها أو التعمق في بحثها والتفكير فيها . ونشأ عن هذا ظهور كثير من المشكلات والقضايا التي شغلت الفكر الإسلامي ، وكان لها أثرها في نشوء الفرق والكتابة حيالها .
كان موضوع التفكير في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة - رضوان الله عليهم - هو موضوع الألوهية وما يتفرع عنها . فقد وصف الله تعالى نفسه في القرآن الكريم وعرفنا بدلائل قدرته . كي نعبده ونسلم له ؛ وصف نفسه باعتبار ذاته : بأنه الأول والآخر ، والظاهر والباطن.. وغيرها من

الصفات التي تدل على أن الله تعالى غني بنفسه محيط بكل شيء ، أبدي واسع القدرة..
وباعتبار صلته بمخلوقاته : بأنه الخالق المبدئ المعيد ، والبارئ المصور ، إلى غير ذلك من الصفات التي تبين أنه - سبحانه - الخالق المدبر الحكيم الذي لا قوة ولا سلطان غير سلطانه في الوجود . وباعتبار علاقته بالإنسان ، وصف نفسه بأنه الرحمن الرحيم ، غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب .
وباعتبار علاقة الإنسان به وصف نفسه بأنه : المهيمن والهادي والوكيل..
وغيرها مما يدل على احتياج العبد لربه تبارك وتعالى وخضوعه له .
كان ذلك الاعتقاد في وضوحه ونصاعته عنوان الجماعة المسلمة ، به يبشرون وعنه يدافعون ، يتلقون ذلك بالتسليم دون تفتيش عن المتشابه أو تأويل لما يظن أنه بحاجة إلى تأويل . ولكن الأمر بعد ذلك بدأ يسير على نحو آخر ، فحاول المسلمون فهم العقيدة وشرحها على نحو آخر وعلى منهج يختلف عن منهج الصحابة ، وشغلوا بالبحث عن حقيقة الإيمان وكنهه ، وعن مسؤولية الإنسان وحدودها ، وعن إرادة الله التي هي فوق كل شيء..
وعندئذ جدت مسائل ، وتكونت في العقيدة مشاكل ، وحاولوا أن يوجدوا لها حلاً ، وكلما تأخر بهم الزمن واشتد اختلاطهم بغيرهم.. كلما تعددت المشاكل الأولى التي نشأت في جماعتهم ، وضموا إليها جديداً من المشاكل والآراء ، وازداد - من أجل ذلك - تشقق الأمة إلى شيع وأحزاب .
ظهرت مسألة الصفات ، وهل هي عين الذات أو غيرها؟.. وظهرت مسألة القدر ، وهل الإنسان مسيَّر أم مخيَّر ، وهل هو مسؤول..؟ وكذلك مسألة مرتكب الكبيرة : هل هو مؤمن أم كافر ؟ ومسائل أخرى كالإمامة ، وحقيقة الكفر والإيمان وغيرها . وعن البحث في هذه القضايا وأمثالها نشأت في الجماعة الإسلامية فرق وأحزاب : الخوارج ، والشيعة ، والمرجئة ، والمعتزلة(6)..
وذهبت كل فرقة تدافع عن رأيها ومعتقدها ، وترد على المخالفين لها ، وتزيف ما يعتمدون عليه من دلائل.. فكان هذا من العوامل التي دفعت بأهل السنة إلى الرد على تلك الفرق ، فنشأت الكتابة في العقيدة لبيان الحق ورد الشبهات .
وإذا كانت هذه العوامل والأسباب كلها عوامل داخلية نابعة من داخل المجتمع المسلم ، فإن هناك عوامل أخرى خارجية تحتاج إلى إشارة لا يتسع هذا المقال لها ، فنرجئها إلى عدد قادم بإذن الله تعالى .

- يتبع -

الهوامش :

1- انظر الخطط المقريزية : 9/3 0 3- 0 31 ، إعلام الموقعين : 1 / 49 ، مفتاح السعادة : 2/143 ، التفكير الفلسفي في الإسلام ص 119 -126.

2- انظر: السنة ومكانتها في التشريع ، للشيخ مصطفى السباعي ص (103 - 107) ، دراسات في الحديث ، للدكتور الأعظمي : 1/71 وما بعدها ، قواعد التحديث للقاسمى ص (70- 72) ، السنة قبل التدوين ، لأستاذنا الدكتور محمد عجاج الخطيب ص 290 وما بعدها .
3- الفرق بين الفرق ، للبغدادي ص (14) .
4- مقالات الإسلاميين ، للأشعري ص (34) .
5- الخطط المقرزية: 3/310-313، ومقدمة أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: 1/17-37
6- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ، للدكتور محمد البهي ص (40 - 42) ، وانظر الخطط المقرزية : 3/316 -317 ، مقدمة ابن خلدون : 2/0 83-832 .

كلمات في »الولاء والبراء«

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

من الانحرافات الظاهرة التـي تـبـدو طافية على السطح في مثل هذه الأيام ما نسمعه ونقرؤه من نشاط محموم ومكثف من أجل إقـامــة »الـســلام« مع يهود ، وإنهاء الصراع معهم في ظل الوفاق الدولي . ومن جانب آخر نشاهد كثرة ما يـعـقــد فـي الساحة من مؤتمرات وملتقيات للتقارب بين الأديان ! والحوار والزمالة - بالذات - بين الإســلام والـنـصرانية.. وتلحظ عـلـى هؤلاء المشاركين في تلك المؤتمرات ممن يحسبون من أهل الإسلام هزيـمـة بالـغـة فـي نـفــوسهم ، وحبّاً للدعة والراحة.. وكرهاً للجهاد وتوابعه ، فالإسلام دين السلام والوئـام و»التعايش السلمي«! حتى قال أحدهم : هيئة الأمم المتحدة تأخذ بالحل الإسلامي لمعالـجـة المشكلات التي تواجه الإنسانية!(1) كما تلمس من كلامهم استعداداً كاملاً للارتــمـــاء في أحضان الغرب.. فضلاً عن جهلهم المركب بعقيدة الإسلام الصحيح.. ومن أهمها عـقــيـدة الولاء والبراء.. وهذه المكائد والمخططات - عموماً - حلقة من حلقات سابقة تستهدف القـضـاء على عقيدة البراءة من الكفار وبغضهم.. إضافة إلى كيد المبتدعة من الباطنيين وأشــبــاهـهـم.. ومع هذه الحملة الشرسة والمنظمة من أجل »مسخ« عقيدة البراء فإنك ترى - في الوقت نفسه - الفرقة والشحناء بين الدعاة المنتسبين لأهل السنة ، ولأجل هذا وذاك ، أحـبــبـت أن أؤكد على موضوع الولاء والبراء من خلال النقاط التالية .

- 1 -

إن الولاء والبراء من الإيمان ، بل هو شرط من الإيمان ، كما قال سبحانه : ((تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ

اللَّهُ عَلَيْهِمْ وفِي العَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * ولَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والنَّبِيِّ ومَا أُنزِلَ إلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ولَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)) [المائدة:80-81] .
يقول ابن تيمية عن هذه الآية : »فذكر جملة شرطية تقتضي أن إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف "لو" التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط فقال : ((ولَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والنَّبِيِّ ومَا أُنزِلَ إلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ)) فدل ذلك على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ، لا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب ، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي ، وما أنزل إليه..«(2).
والولاء والبراء أيضاً أوثق عرى الإيمان ، كما قال -صلى الله عليه وسلم- : »أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله« رواه أحمد والحاكم .
يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : »فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد ، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله.. ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار ، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان«(3) .
وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يبايع أصحابه على تحقيق هذا الأصل العظيم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : »أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتناصح المسلمين وتفارق المشركين« رواه النسائي وأحمد .
وتأمل معي هذه العبارة الرائعة التي سطرها أبو الوفاء بن عقيل (ت 513 هـ) :
»إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان ، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع ، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك ، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة ، عاش ابن الراوندي والمعري عليهما لعائن الله ينظمون وينثرون كفراً.. وعاشوا سنين ، وعظمت قبورهم ، واشتريت تصانيفهم ، وهذا يدل على برودة الدين في القلب«(4) .

- 2 -

الولاء معناه المحبة والمودة والقرب ، والبراء هو البغض والعداوة والبعد ، والولاء والبراء أمر قلبي في أصله.. لكن يظهر على اللسان والجوارح..
فالولاء لا يكون إلا لله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وللمؤمنين كما قال سبحانه : ((إنَّمَا ولِيُّكُمُ اللَّهُ ورَسُـــولُـــهُ والَّذِينَ آمَنُوا..)).. فالولاء للمؤمنين يكون بمحبتهم لإيمانهم، ونصرتهم، والإشفاق عليهم، والنصح لهم ، والدعاء لهم ، والسلام عليهم ، وزيارة مريضهم وتشييع ميتهم ومواساتهم وإعانتهم والسؤال عن أحوالهم ، وغير ذلك من وسائل تحقيق هذا الولاء .

والبراءة من الكفار تكون : ببغضهم - ديناً - وعدم بدئهم بالسلام وعدم الـتـذلـل لـهم أو الإعجاب بهم ، والحذر من التشبه بهم ، وتحقيق مخالفتهم - شرعاً - وجهادهم بالـمال واللسان والسنان ، والهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام (5) وغير ذلك من مقـتـضـيــات البراءة منهم (6).

- 3 -

أهل السنة يرحمون الخلق ويعرفون الحق ، فهم أحسن الناس للناس ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، وهم في وئام تام ، وتعاطف وتناصح وإشفاق كالجسد الواحـــد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، حتى قال أحد علمائهم وهو - أيوب السَّخِتْياني -: »إنه ليبلغني عن الرجل من أهل السنة أنه مات ، فكأنما فقدت بعض أعضائي«(7) .

ولذا قال قوّام السنة إسماعيل الأصفهاني : "وعلى المرء محبة أهل السنة في أي مــوضــع كانوا رجاء محبة الله له ، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول الله تعالى : »وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتلاقين فيّ« رواه مالك وأحمد ، وعـلـيه بغض أهل البدع في أي موضع كانوا حتى يكون ممن أحب في الله وأبغض في الله"(8) .

ولا شك أن هذا الولاء فيما بين أهل السنة ، إنما هو بسبب وحدة منهجهم ، واتــحـــاد طريقتهم في التلقي والاستدلال ، والعقيدة والشريعة والسلوك ، ..

- 4 -

الكفار هم أعداؤنا قديماً وحديثاً سواء كانوا كفاراً أصليين كاليهود والنصارى أو مرتدين ، قال تعالى : ((لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً)) [آل عمران 28] .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : "نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الـكـفـار وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعد على ذلك فقال تعالى: ((ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ)) أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فهو بريء من الله ، كما قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِــيــنَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً..)) [النساء 144] ، وقال تعالى : ((يَا أَيُّــهَـــا الَذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ومَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإنَّهُ مِنْهُمْ))(9) .

فهذه حقيقة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، وهي أن الكفار دائماً وأبداً هم أعداؤنا وخصومنا.. كما قرر ذلك القرآن في أكثر من موضع ، فقد بين الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة فــقــال سـبـحـانــه عنهم : ((لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاَّ ولا ذِمَّةً..)) ، وقال تعالى : ((مَا يَوَدُّ الَذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ ولا المُشْرِكِينَ

أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ..)) ، وقال سبحانه : ((وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم..)) ، هكذا حذر الله تعالى من الكفار: ((أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ)).. ولكي يطمئن قلبك.. فانظر إلى التاريخ في القديم والحديث.. وما فعله الكفار في الماضي وما يفعلونه في هذه الأيام ، وما قد سيفعلونه مستقبلاً .
ورحم الله ابن الـقـيـم عندما عقد فصلاً فقال : »فصل في سياق الآيات الدالة على غش أهل الذمة للمسلمين وعداوتهم وخيانتهم وتمنيهم السوء لهم ، ومعاداة الرب تعالى لمن أعزهم أو والاهم أو ولاّهم أمر المسلمين«(10) .

إن الناس في ميزان الولاء والبراء على ثلاثة أصناف ، فأهل الإيمان والصلاح يجب علينا أن نحـبـهـم ونـوالـيـهم . وأهل الكفر والنفاق يجب بغضهم والبراءة منهم ، وأما أصحاب الشائبتين ممن خلطوا عـمـلاً صالحاً وآخر سيئاً ، فالواجب أن نحبهم ونوليهم لما سهم من إيمان وتقوى وصلاح ، وفي الوقت نفسه نبغضهم ونعاديهم لما تلبسوا به من معاصٍ وفجور . وذلك لأن الولاء والبراء من الإيـمـان ، والإيمان عـنـد أهـل السنة ليس شيئاً واحداًلا يقبل التبعيض والتجزئة ، فهو يتبعض لأنه شعب متعددة كما جـــاء في حديث الصحيحين في شعب الإيمان "الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدنــاهــا إمـــاطـــة الأذى عن الطريق"، والأحاديث في ذلك كثيرة معلومة، فإذا تقرر أن الإيمان شعب متعددة ويقبل التجزئة، فإنه يمكن اجتماع إيمان وكفر - غير ناقل عن الملة - في الشخص الواحد ودليله قوله تعالى : ((وإن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا..)) فأثبت الله تعالى لـــهـم وصـــف الإيمان، مع أنهم متقاتلون، وقتال المسلم كفر كما في الحديث : »سباب المسلم فسوق وقتاله كفر« ، وفي الـحديث الآخر يقول -صلى الله عليه وسلم- : »لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بـــعــضــكـم رقـاب بعض«، فدل ذلك على اجتماع الإيمان والكفر - الأصغر - في الشخص الواحد .
يقول ابن تيمية :
»أما أئمة السنة والجماعة ، فعلى إثبات التبعيض في الاسم والحكم ، فيكون مع الرجل بعض الإيمان ، لا كله ، ويثبت له من حكم أهل الإيمان وثوابهم بحسب ما معه ، كما يثبت له من العقاب بحسب ما عليه ، وولاية الله بحسب إيمان العبد وتقوا5 ، فيكون مع العبد من ولاية الله بحسب ما معه من الإيمان والتقوى ، فإن أولياء الله هم المؤمنون المتقون، كما قال تعالى : ((أَلا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ))"(11) .

موالاة الكفار ذات شعب متعددة ، وصور متنوعة.. وكما قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - : »مسمى الموالاة يقع على شعب متفاوتة ، منها ما يوجب الردة وذهاب الإسلام بالكلية.. ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات«(12) .
ويقول أيضاً : "ولفظ الظلم والمعصية والفسوق والفجور والموالاة والمعاداة والركون والشرك ونحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة قد يراد بها مسماها المطلق وحقيقتها المطلقة ، وقد يراد بها مطلق الحقيقة ، والأول هو الأصل عند الأصوليين ، والثاني لا يحمل الكلام عليه إلا بقرينة لفظية أو معنوية ، وإنما يعرف ذلك بالبيان النبوي وتفسير السنة.. إلى أن قال : »فقوله تعالى : ((ومَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإنَّهُ مِنْهُمْ..)) قد فسرته السنة وقيدته وخصته بالموالاة المطلقة ، العامة..«(13) .
فمن شعب موالاة الكفار ، التي توجب الخروج من الملة ؛ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين كما قال سبحانه : ((ومَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإنَّهُ مِنْهُمْ..)) [البقرة: 102] .
ومنها عدم تكفير الكفار أو التوقف في كفرهم أو الشك فيه ، أو تصحيح مذهبهم (14).. فما بالك بحال من يدافع عنهم ويصفهم بأنهم إخواننا في الإنسانية - إن كانوا ملاحدة أو وثنيين - أو "أشقاؤنا" - إن كانوا يهوداً أو نصارى - فالجميع في زعمهم على ملة إبراهيم عليه السلام!

- 7 -

يقع خلط ولبس أحياناً بين حسن المعاملة مع الكفار - غير الحربيين - وبغض الكفار والبراءة منهم ، ويتعين معرفة الفرق بينهما ، فحسن التعامل معهم أمر ، وأما بغضهم وعداوتهم فأمر آخر ، وقد أجاد القرافي في "الفروق" عندما فرّق بينهما قائلاً :
»اعلم أن الله تعالى منع من التودد لأهل الذمة بقوله ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الحَقِّ..)) الآية ، فمنع الموالاة والتودد ، وقال في الآية الأخرى : ((لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ..)) فلا بد من الجمع بين هذه النصوص ، وأن الإحسان لأهل الذمة مطلوب ، وأن التودد والموالاة منهي عنهما.. وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم ؛ لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ودين الإسلام ، وقد حكى ابن حزم الإجماع - في مراتبه - على أن من كان في الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه ، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح.. فيتعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على موادات القلوب ولا تعظيم شعائر الكفر ، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع ، وصار من قبل ما نهي عنه في الآية وغيرها ، ويتضح ذلك بالمثل ،

فإخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا والقيام لهم حينئذ ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها ، هذا كله حرام ، وكذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق وأخلينا لهم واسعها ورحبتها والسهل منها ، وتركنا أنفسنا في خسيسها وحزنها وضيقها كما جرت العادة أن يفعل ذلك المرء مع الرئيس والولد مع الوالد ، فإن هذا ممنوع لما فيه من تعظيم شعائر الكفر وتحقير شعائر الله تعالى وشعائر دينه واحتقار أهله ، وكذلك لا يكون المسلم عندهم خادماً ولا أجيراً يؤمر عليه وينهى.. وأما ما أمر من برهم من غير مودة باطنية كالرفق بضعيفهم ، وإطعام جائعهم ، وإكساء عاريـــهم ، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة ، واحـتـمال أذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً معهم لا خوفاً وتــعـظــــيــمـــاً، والـدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمورهم..
فجميع ما نفعله معهم من ذلك لا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم ، وينبغي لــنـــا أن نـسـتـحـضــر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا وتكذيب نبينا -صلى الله عليه وسلم- ، وأنهم لو قـــــدروا علـيـنا لاستأصلوا شأفتنا واستولوا على دمائنا وأموالنا ، وأنهم من أشد العصاة لربنا ومالكنا عز وجل، ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالاً لأمر ربنا..«(15).

- 8 -

وإن من أعظم ثمرات القيام بهذا الأصل : تحقيق أوثق عرى الايمان ، والفوز بمرضاة الله الغفور الرحيم ، والنجاة من سخط الجبار جل جلاله ، كما قال سبحانه : ((تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وفِي العَذَابِ هُمْ خَـالِــدُونَ * ولَــوْ كَـانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والنَّبِيِّ ومَا أُنزِلَ إلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ولَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)) [المائدة: 79-80] .
ومن ثمرات القيام بـالــولاء والــبـــراء : السلامة من الفتن.. قال سبحانه : ((والَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وفَسَادٌ كَبِيرٌ)) [الأنفال:73] .
يقول ابن كثير: "أي إن تجانبوا المشركين ، وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل"(16) .
ومن ثـمـــرات تـحـقـيـق هذا الأصل: حصول النعم والخيرات في الدنيا، والثناء الحسن في الدارين، كما قال أحد أهـــل العلم: "وتأمل قوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ((فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ ومَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وهَبْنَا لَهُ إسْحَاقَ ويَعْقُوبَ وكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِياً * ووَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِياً)) [مريم: 50] ، فهذا ظاهر أن اعتزال الكفار سبب لهذه النعم كلها ولهذا الثناء الجميل - إلى أن قال - فاعلم أن فرط اعتزال أعداء الله تعالى

والتجنب عنهم صلاح الدنيا والآخرة بذلك ، يدل على ذلك قوله تعالى : ((ولا تَرْكَنُوا إِلَى الَذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ومَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ)) [هود:113]"(17) .
وهذا أمر مشاهد معلوم ، فأعلام هذه الأمة ممن حققوا هذا الأصل قولاً وعملاً ، لا زلنا نترحم عليهم ، ونذكرهم بالخير ، ولا يزال لهم لسان صدق في العالمين.. فضلاً عن نصر الله تعالى لهم والعاقبة لهم.. فانظر مثلاً إلى موقف الصديق -رضي الله عنه- من المرتدين ومانعي الزكاة.. عندما حقق هذا الأصل فيهم.. فنصره الله عليهم وأظهر الله تعالى بسببه الدين.. وهذا إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- يقف موقفاً شجاعاً أمام المبتدعة في فتنة القول بخلق القرآن.. فلا يداهن ولا يتنازل.. فنصر الله به مذهب أهل السنة وأخزى المخالفين.. وهذا صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- يجاهد الصليبيين - تحقيقاً لهذا الأصل - فينصره الله تعالى عليهم ويكبت القوم الكافرين.. والأمثلة كثيرة..
فيجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يحققوا هذا الأصل في أنفسهم اعتقاداً وقولاً وعملاً ، وأن تقدم البرامج الجادة - للمدعوين - من أجل تحقيق عقيدة الولاء والبراء ولوازمهما.. وذلك من خلال ربط الأمة بكتاب الله تعالى ، والسيرة النبوية ، وقراءة كتب التاريخ ، واستعراض تاريخ الصراع بين أهل الإيمان والكفر القديم والحديث ، والكشف عن مكائد الأعداء ومكرهم "المنظم" في سبيل القضاء على هذه الأمة ودينها ، والقيام بأنشطة عملية في سبيل تحقيق الولاء والبراء كالإنفاق في سبيل الله ، والتواصل واللقاء مع الدعاة من أهل السنة في مختلف الأماكن ، ومتابعة أخبارهم ونحو ذلك .

الهوامش :

1- د. معروف الدواليبي / انظر جريدة العالم الإسلامي بمكة عدد 1243 .
وانظر دور هيئة الأمم في إسقاط عقيدة الولاء في كتاب الجهاد للعلياني .
2- من كتاب الإيمان ص 14
3- من رسالته أوثق عرى الإيمان ص 38 .
4- من لآداب الشرعية لابن مفلح 1/268 .
5- يقول القاضي أبو يعلي :"وكل دار كانت الغلبة فيها لأحكام المسلمين دون الكفر فهي دار الإسلام ، وكل دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الاسلام فهي دار الكفر" ، المعتمد في أصول الدين ص 276.
6- انظر تفصيل ذلك في كتاب الولاء والبراء للقحطاني، وكتاب الموالاة والمعاداة للجلعود.
7- الحجة في بيان المحجة للأصفهاني (قوام السنة) 2/487 .
8- المرجع السابق 2/501 .
9- تفسير ابن كثير 1/ 357 .

10- أحكام أهل الذمة 1/238 .
11- الأصفهانية ص 144 .
12- الدرر السنية 7/159 .
13- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية 3/7-10 .
14- انظر الشفا لعياض 2/1071 .
15- مختصراً من الفروق 3/14-15 .
16- تفسير ابن كثير 2/316 .
17- من كتاب منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب ص 52 ، وانظر اضواء البيان للشنقيطي 2/485 .

الإسلام
توحيد المُشَرِّع ومتابعة المُبِلِّغ

د. محمد محمد بدري

جاء الإسلام - ككل دين جاء من عـنــد الله - عقـيــدة وشــريـعة ، العقيدة ثابتة لا تتغير ((اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إلَهٍ غَيْرُهُ..)) ، والشريعة في أسمى صورها وأكملها.. فآمن بالإسلام قوم فأصبحوا مسلمين ، وأبى قوم فأصبحوا في كفر وجاهلية.. وبمـرور الـزمــن والــبعد عن عهد النبوة، ومضي القرون المفضلة وفشو الجهل في الناس وانحسار كثير من مد الإســلام، أخــذ مفهوم الإسلام في الانحسار حتى بات عند كثير من الناس لا يعدو النطق بلا إله إلا الله، وإن لم يعـمــل قائلها بمقتضاها.. وأصبح (مثقفونا) يتساءلون في استنكار : ما للإسلام والاقتصاد؟!.. ما للإسلام والسياسة والحكم ؟!.. وأصبح الفرد من عامة المسلمين يقول : لا إله إلا الله ، ثم لا يـجــد حرجاً أن يرى شريعة الله لم تعد هي الفيصل فيما يعرض له من مشاكل .

ومن هــنــا كان من الضروري أن نبين حقيقة الإسلام الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم وإليه دعا.. ونقيم الدليل على بديهيته الأولى وهي: توحيد المُشرَّع، وتصديق ومتابعة المُبلَّغ - صلى الله عليه وسلم-.

1- حقيقة الإسلام وجوهره :

الإسلام هو دين الرسل جميعاً ، وإن تنوعت شرائعهم ومناهجهم ، كما قال تعالى : ((ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إلاَّ نُوحِي إلَيْهِ أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ..)) والآيات في ذلك كثيرة والأحـاديــــث منها قــول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : »الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد« (صحيح البخاري ، كتاب : فضائل الأنبياء).

ولهذا كانت الكتب السماويــة المتواترة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قاطعة أن الله لا يقبل من أحد ديناً سوى الحـنـيـفـية وهي الإسلام العام ، قال

تعالى: ((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإسْلامُ..)) وقال عز وجل : ((ومن يَـبْـتَـغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ))..(1)
ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد، ويتضمن الإخلاص، مأخوذ من قوله سبحانه: ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ورَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ)).
فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده ، وترك الاستسلام لما سواه ، ..
وهذه حقيقة قولنا لا إله إلا الله ، فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته ، وقد قال تعالى : ((إِنَّ الَذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ))(2) ولذلك فإن قدم الإسلام لا يثبت الا على ظهر التسليم والاستسلام(3) ، (والانسان أمام طريقين لا ثالث لهما ، فإما أن يختار العبودية لله ، وإما أن يرفض هذه العبودية فيقع لا محالة في عبودية لغير الله)(4) ، فإفراد الله بالعبادة هو جوهر الإسلام وحقيقته ، وهو المدلول العلمي لشهادة أن لا إله إلا الله ، .. والتلقي في كيفية هذه العبادة عن رسول الله هو حقيقة تصديقه فيما أخبر ، وهو المدلول الحقيقي والعملي لشهادة أن محمداً رسول الله .
(فدين الإسلام مبني على أصلين : أن نعبد الله وحده لا شريك له ، وأن نعبده بما شرعه من الدين ، وهو ما أمرت به الرسل أمر إيجاب أو استحباب)(5) ، وهذان الأصلان هما حقيقة قولنا : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ولهذا لما جاء نفر من اليهود إلى النبي فقالوا : نشهد إنك لرسول لم يكونوا مسلمين بذلك ، لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم أي نعلم ونجزم أنك رسول الله ، قال : فلم لا تتبعوني؟ قالوا : نخاف من يهود..
فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس لإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد مع تضمن ذلك الإخبار عما في أنفسهم ، .. فالمنافقون قالوا مخبرين كاذبين ، فكانوا كفاراً في الباطن ، وهؤلاء قالوها غير ملتزمين ولا منقادين ، فكانوا كفاراً في الظاهر والباطن ، وكذلك أبو طالب قد استفاض عنه أنه كان يعلم بنبوة محمد وأنشد عنه :

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية ديناً.. (6)

(ولم تدخله هذه الشهادة في الإسلام ، ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كـثـيـر مــن أهل الكتاب والمشركين له - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة وأنه صادق فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام ؛ علم أن الإسلام أمر وراء ذلك ، وأنه ليس هو المعرفة فقط ، ولا المعرفة والإقرار فقط ، بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهراً وباطناً)(7) .
فالإسلام الذي نحرص عليه ، ولا نرضى بغيره ديناً ، ليس مجرد تصديق الرسول فيما أخبر بل لا بد من الإسلام من تصديق الرسول فيما أخبر وطاعته فيما أمر ذلك أن حقيقة الإسلام (توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، والإيمان بالله ورسوله وطاعته فيما جاء به ، فما لم يأت العبد بهذا فليس

بمسلم)(8)... وهذا أصل عظيم ينبغي معرفته لما قد لبس على الناس أصل الإسلام حتى صاروا يدخلون في أمور عظيمة هي شرك يتنافى مع الإسلام لا يحسبونها شركاً. إن حقيقة الإسلام وجوهره: أن لا نعبد إلا الله ، وأن لا نعبده إلا بما شرع.. إن حقيقة الإسلام : أن يستسلم العبد لله رب العالمين ، ولا يستسلم لسواه .

2- الإسلام.. وتوحيد المُشَرَّع :

التشريع في الإسلام لا يكون إلا لله. ومن زعم لنفسه الحق في التشريع بغير سلطان من الله، فقد تجاوز حد العبودية ، وتطاول إلى مقام الألوهية ، وجعل نفسه نداً لله تعالى ، فالمُشرّع هو الله وحده ، ولا تشريع إلا ما شرعه سبحانه ، قال تعالى : ((أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ))
فالتشريع المطلق حق خالص لله وحده لا ينازعه في ذلك أحد كما قال تعالى: ((إِنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ)) [يوسف:40]، لذلك أوجبت الشريعة التحاكم إلى الشرع وجعلته شرط الإيمان ، قال تعالى : ((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ))، وقال سبحانه: ((ومَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إلَى اللَّهِ)) [الشورى:10] . (فالشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله، ليس لأحد من الخلق الخروج عنه ، ولا يخرج عنه إلا كافر)..(9)
فلا إسلام لمن منح البشر اختصاص الربوبية والرسالة من حق التشريع، والخضوع والإذعان التام لغير الله ورسوله .. لأن معنى الإسلام - كما بينا - هو الاستسلام لله ورسوله بالطاعة والخضوع للأوامر الصادرة منهما، ولا يصح إسلام من يتمرد على حكم الله ورسوله . (فمعنى الإسلام : الاستسلام والطاعة لشريعة الله ، .. ومعنى عدم الاستسلام لهذه الشريعة، واتخاذ شريعة غيرها في أي جزئية من جزئيات الحياة، هو رفض للاعتراف بألوهية الله سبحانه وسلطانه ، سواء كان هذا الرفض باللسان ، أو بالفعل دون القول)..(10)
بل المسلم يتبع حكم الله في كل شأن من شؤون حياته (فالحلال ما أحله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله ، والدين ما شرعه الله ورسوله)..(11) . وقبول المسلم لشرع الله هو رفض لشرع غيره.. وقبوله لأي جزئية من جزئيات شرع غير الله هو رفض لشرع الله في هذه الجزئيات ، وهذا يعني رفض شرع الله كما قال تعالى : ((قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)) [آل عمران:64] ، (ومعنى لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله : أي لا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلا منهم بعضنا.. بشر

مـثـلـنــا وهو نظير قوله تعالى: ((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ورُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ)) معناه أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم مما لم يحرمه الله ولم يحله الله)..(12)
وعلى هذا فالتحاكم إلى البشر عـن رضـى وطواعية هو خلع لربقة الإسلام من الأعناق ، .. وقبول شريعة أي بشر وتقديمها على الكتاب والسنة هو الكفر بعينه.. فالله هو المشرع وهو الحكم ، وكتابه هو المهيمن، .. والناس ليس لهم مع القرآن والسنة سوى التنفيذ والتطبيق (وقـد نـفـى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن من لم يحكموا النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما بينهم نفياً مؤكداً مكرراً بتكرار أداة النفي وبالقسم، قال تعالى : ((فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَـجَــرَ بَـيْـنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ ويُـسَـلِّـمُـوا تَسْلِيماً)).. [النساء 65] وتأمل قوله عز وجل ((فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)) فإن اسم الموصول (ما) مع صلته من صيغ العموم عند الأصوليين وغيرهم، وهو من ناحية الأجناس والأنواع، كما أنه من ناحية القَدْر فلا فرق بين نوع ونوع ، كما أنه لا فرق بين القليل والكثير)..(13) .
فـقـبـول شــرع الله كـلـه، ورفــض شرع سواه كله هو الإسلام وليس للإسلام حقيقة سواه، (والرضا بالقضاء الديني الشرعي، واجب وهو أساس الإسلام وقاعدته، فيجب على العبد أن يكون راضياً بلا حرج ولا منازعة ولا مدافعة ولا معارضة ولا اعتراض ، قــال تـعـالى : ((فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)).. فالله عز وجل أقسم أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه ، وحتى يسلموا لحكمه تسليماً ، وهذه حقيقة الرضا بحكمه ، فالتحكيم في مقام الإسلام ، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان ، والتسليم في مقام الإحسان)(14) .
وإذا كان يكفي لإثبات الإسلام أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم رسوله ، فإنه لا يكفي في هذا الإيمان هذا ما لم يصحبه الرضى النفسي والقبول القلبي ، وإسلام القلب والجنان في اطمئنان..(15) ، ولا يجتمع التحاكم إلى غير شريعة الله ، أو رفض التحاكم إلى شريعة الله ، ..لا يجتمع هذا أو ذاك مع الإسلام في قلب عبد بأي حال من الأحوال (ومن رد شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه ، أو من جهة ترك القبول والامتناع عن التسليم)(16).. فقبول شرع الله سبحانه يتحقق بعدم رد أمر الله عليه، وقبول شرع غيره يُعرف بعدم الرد ، فإن منع من رفض ورد شــريــعـة غـيـر الله الإكراه، فلا بد من كره القلب، وهذا يعني عدم مظاهرة القائمين على شريعة غير الله.. حاكماً كان أو حزباً أو طبقة .

إن الـمـسـلـم يـلـتزم بمقتضى إسلامه أن يتبع حكم الله في كل شأن من شؤون حياته، قال تـعــالى: ((ومـَـا كَـانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)).. هذه واحــدة . والثانية أن المسلم ملزم بمتابعة الرسول فيما أمر واجتناب ما عنه نهى وزجر ، قال تـعـــالى : ((ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)) وهذا أمر عام في الأمر والنهي، والحلال والحرام، وكذلك في الحكم والاحتكام، قــال تعالى: ((فَلا ورَبِّــكَ لا يُـؤْمِـنُـونَ حَـتَّـى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) [النساء:65]، فهذه الآية تجعل من أساسيات الإسلام؛ التحاكم إلى شريعة الله ومتابعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي بلغها عن الله .

إن المُشرّع هو الرحمن ، وليس البرلمان..

إن الشريعة هي الكتاب والسنة ، وليس إرادة الأمة..

إن الإسلام عقيدة وشريعة ، وشريعته هي الترجمة الواقعية لعقيدته..

إن الإسلام لا بد فيه من توحيد المُشرِّع ، ومتابعة المُبَلِّغ .

الهوامش :

1- راجع الفتاوى - ابن تيمية جـ 1 ص 335
2- اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية ص 4 45 ، التدمرية ص 46
3- شرح الطحاوية - لأبي العز ص 121
4- العبودية - ابن تيمية ص 6
5- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة - ابن تيمية ص 41
6- راجع مجموع الفتاوى لابن تيمية ج 7 ص 561
7- زاد المعاد - ابن القيم جـ 3 ص 42
8- طريق الهجرتين - ابن القيم
9- الفرقان - ابن تيمية ص 65
10- في ظلال القرآن - سيد قطب جـ 2 ص 889
11- اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية
12- راجع تفسير البيضاوي والقرطبي والنسفي وابن كثير للآيات .
13- تحكيم القوانين - الشيخ محمد بن إبراهيم ص 650
14- مدارج السالكين - بن القيم جـ 2 ص 192
15- في ظلال القرآن - سيد قطب جـ 5ص 130
16-أحكام القرآن للجصاص جـ 3 ص

الأدب الذي نطمح إليه

عبد الله بن محمد العسكر

لا أخال أحداً يجهل قـيـمـة الأدب في الحياة، ومدى تأثيره على حياة الأمم والشعوب . ومن تتبع التاريخ عرف مصــداقية هذه الـعـبـارة . وهذا الأدب يكون في الغالب متمشياً مع مستوى أخلاق الأمة وما يعيشه أفرادها من وعـي وإدراك ، فبقدرهما يرتفع مستوى الأدب أو ينخفض . فالأدب ما هو إلا نتاج لتلك البيئة وذلك الجو الذي يعيش فيه الأديب .
وما أحوج أمتنا الإسلامية - في هذا العصر خـاصـة - إلـى أدب يسمو بأفرادها ويرتفع عن مستوى الانحطاط والدونية . إن للكلمة السامية والشعر الصادق الرفيع أبلغ الأثر في الرقي بالفرد المسلم وشحذ همته وعزيمته ليخدم دينه ومعتقده . ألا وإن على الأديب المسلم مهمة عظيمة ورسالة سامية يحملها ليقدمها لأبناء جيله خصوصاً في هذا العصر الذي تعصف فيه الرياح بأمتنا من كل جانب، ويريد الأعداء أن ينهشوا لحمها ويمزقوا جسدها .
إن بـاســتـطـاعــة الأديب الذي يحمل هم الإسلام بين جوانحه أن يفعل ما لا يستطيع أن يـفـعـلـه غـيره، فـهــو الـــذي حباه الله شحنات مضاعفة من رهافة الحس وعمق الشعور بالمسئولية والمبالغة في رؤية الجراح، وفي هذا الطريق ما لا يخفى من معاناة ومكابدة ومشقة خـاصــة وأن هــذا الأديب يعيش في عصر نرى فيه الشعوب قد أنهكها العطش وبلغ منها الجهد مبلغه ، فأقامت تحت شجرة الصبر تنتظر المطر أن ينزل من السماء دون أن تكلف نفسها عناء حفر بئر في الأرض . مهمة الأديب المسلم اليوم بعث الحياة في حياة الأموات وحمل المشاعل لتنير الدروب المظلمة التي تتخبط فيها فئام كثيرة من الناس الذين يبحثون عن نور يخرجهم من تلك الظلمات الحالكة ؛ فتأتي حروف ذلك الأديب لتشرق عليهم وتنير لهم الطريق .
واجب الأديب المسلم أن يجاهد بسلاحه ما دام سلاحه ليده ، وما دام قلمه يحيا بأنــات الشعوب فعليه أن يبذل كل ما يستطيعه من غال ونفيس .
كلمات الأديب المـسـلـــم وقصائده صرخات بالحق في زمن انسحب فيه الناس من ساحات الجهاد واشتغلوا بجمع القناطير المقنطرة من الذهب والفضة .
خـــواطـــره.. منشورُ علنيّ يـــوزعه تارة بلسانه وأخرى بقلمه ليُظهر حقاً مرّا ســكـــت عنه الآخرون..
خواطره.. انفصال من حياة رتيبة هادئة ومستكينة، وانطلاقة من الراحة والهدوء النفسي، واستعلاء وسمو عن حاجات القطيع وتفكير القطيع .
إن على الأديب المسلم أن يؤدي زكاة قلمه وما من الله عليه من نعمة البلاغة والبيان . تلك الزكاة التي تعني إظهار المشاعر في صورة كلمة طيبة، تعود بالخير والنفع على من يسمعها وهــذه الـكـلـمـة لا بـد أن تـكـون نابعة من القلب ، مصدقة لما يؤمن به الفؤاد ويعتقده. فجذورها راسخة فيه ، ضاربة في سويدائه ، ثابتة في مستودعه ، متمكنة من رحابه ، ثم هـي واضــحـــة

ظـاهـرة بعيدة عن الالتواء والغموض . إنها كالشجرة الطيبةِ المثمرةِ الثابتة بجذورها في مغرسها ، الـصـاعـدة بـفروعها إلى السماء ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)) .
إننا نريد من الأديب أدباً رفيعاً متنزهاً عن كل معاني السفالة والانحطاط .
نريد أدباً يرقى بالأمة ، لا أقول لتكون في مصاف الأمم بل لتكون سيدة على الأمم جمعاء .
نريد قصائد تحيا بالأمة وتعيد لها كرامتها ، وتساعد في إرجاع عزتها ومجدها ، ولا نريد قصائد تهوي بالأمة إلى حمأة الشهوة والرذيلة، وشتان بين كلا النوعين من القصائد:

وقصائدٍ مثل العرائسِ ، مهرُها غالٍ ، وأخرى ليس فيها مطمعُ
فوق النجوم تعيش بعضُ قصائدٍ والـبـعـض في عـفنِ القمامة يقبعُ
وأجـلـهـنَّ قـصـيـدة عـربـيــةٌ فـيـهـا من الإسلام شمس تسطع
تـأبـى على أهل الغرور غرورَهم وتـشـدُّ مـن أزر الـضعيف وتمنعُ
وتـثـورُ فـي وجه الطغاة وتنبري للـظـالـمـيـن ، تـؤزُّهـم وتزعـزعُ
وإذا أصـاب الـمـسـلـمـيـن مصيبةٌ فـهـي الـتـي مـن أجلهم تتوجعُ
وهـي الـتي تأسو الجراح بليلهم والـفـجر مـن جرح القصيدة يطلعُ
وهـي الـتـي تـنهل في صحرائهم مطراً ، وتحفر في الصخور وتزرع
حـسـبُ القـصـائد أنها لا تنحني إلا لـجـبـار الـسـمـاء وتـركـــعُ

أرض الجزائر

أبو خالد السبيعي

أرض الـجـزائــر شــامــة الإســــلام أرض الـبـطـولـة والـكـفاح الدامــي
أرض الـجـهـاد عـلى العصور تحطـمـت فـيـهـا جـيــوش الـكــفـر والأصنـام
أرض ابــن بـاديــس الـذي فـخـرت به جــمــعـيـــــة الـــعـلـمـــاء والألام
أرض الـجـزائـر حـدثـيـنـا مـا جــرى لبــنــي فــرنـســا أفـصـحي بكـلام
والــيــوم دالـــت لـلـضـلالـة دولـــة فـــوق الجــزائـــر من بني الإجــرام
جـعــلــوا الـجـيــوش وجندها في أهبة لـحـصـار داعـيـــة وســجــن إمـام
نـصـبـوا أمـام الـراكـعــيـــن مـدافـعاً يـــا لـيـتـهـا نـصـبــت إلى الأزلام
مــلأوا الــسـجـــون بِفِـتْـيـةٍ لم يذنبوا إلا بــدعــوتــهــم إلـــى الإسلام
وتـــواطــأت دول الـعــروبـة ويـلـــهاويـــل لـهـــا مــــن حالك الأيـام

سـكـتـت ولـم تـنـطـق بـبـنت حقيقة أهـو العمى؟ أم ذا السكـوتُ تعـام؟
أتــرى الـهـوى أنـسى الحـقائقَ أمتي أم أنـهـا مـشـغـولـة بسـلام
أم أنـهـا تمـسـي وتـصـبـح غِرّة لـم تـأخـذ التلقين من "صـدّام"
إخوانـنـا الأكـراد لـم نـسـمـع لهم خـبراً مـن الـتحـريق والإعـدام
حـتـى أتـى صـدام نحـو ديـارنـا وعـدا عـلـيـنـا جيشه بظـلام
فـتـكـشـفـت أوراقـه فـي لحـظـة مـن بـعـد مـا هـو فارس الإسـلام
يـا أمـة الإسـلام ويـحـك أنـصفـي مـن قـبـل نـازلـة وقـبـل ملام
أنـا لا أصـبُّ الـلـوم فـوق عصابة كـلـت أيـاديـهـا من الإجـرام
كـلا ولـسـت ألـوم كـل مـنـافـق أمـسـى أسـير أنـيسـه ومـدام
كـلا ولـسـت ألـوم عـربـيـداً غـدا لا فـرق بـيـن حلاله وحرام
لـكـن أسـوق مـلامتـي وتأسفي لـبـني الـعـقـيـدة سادة الإسـلام
أهـل الـلـسـان بـسـحـره وبـيـانه أهـل المـنـابـر أو ذوي الأقـلام
أسـفـاه يـا جند الـجـزائر ما لكم صِـرتم عـبـيـد حـثـالـة أقـزام
أنـى تـوجـهـكـم تـوجهـتـم لـهـا أيـن الـعـقـول وفطـنـة الأفهـام
يـا أيـهـا الجـنـد المـغـرّرُ وفـرّوا طـلـقـاتِـكـم لـحماية الإسـلام
مـا لـلـمـدافـع وجـهـت أفـواهـهـا نـحـو الـمـسـاجـد غُرة الأيـام
أبـذا نجـازي جـامـعات خـرجـت جـيـل الجهاد وصفوة الأعـلام
يـا أيـهـا الـجـنـد الـكـرام عـدوكم مـن يـمـنـع الـصبيان من إطـعـام
يـعـثـو بـخـيرات الـبـلاد سفـاهـة حـتـى غـدا الـسـكـان كالأيـتـام
فـبـلادكـم زخـرت بـأنـعـم ربـهـا والـخـبـز فـيـها يشترى بزحـام

وَهْمُ السَّلام

عبد الله بن محمد العسكر

هــات المـحــابـــر ، واكـتـب أيُّها القلمُ وسـطّـر الـشـعـر إن الشعر مـحـتـــدمُ
فـالخـطـــــب يـا صاحبي أمرٌ غدا جَلَلاً ضجَّ الحـطــيم له والبيتُ والحـــــرمُ
هــذا الـزمــان عـجـيـبٌ لـسـت أفهمُه أرجـاؤه ظـُلــَمٌ ، مــن فـوقها ظُـــلـــَمُ
هــذي شـجـونــي وأحـزانــي أُرتــِّلهــا بــكتْ لها مقلتي فاستضحك الـقـلـــمُ
يـــا دوحـــة الـشـعــر هـمُّ الـمسلمين غَلَى به الـفــــؤادُ ، فنارُ الحزن تضطـــــرمُ
إنّـِي أرى أمـَّتي قـــد أبحرتْ -سفَهاً- بلا ســفــيـنٍ ومـــوجُ الـبـحـر يلتـطـــمُ
يـــا لاهـثـين وراء الـسـِّلـــــم في زمـــــنٍ مـــات الإبـــاءُ بـــه والمجدُ والشـيـــمُ
أمـــن يـهـــودٍ تـــريـدون الـــسلام لـكـم؟ أيـــن الــســلام وهـــم ليست لهم قـيـمُ؟
فـــالشـــرُّ مـنـطـقـهــــم ، والغدر شيمتهم والخـبـث ديدنـــهـــم ، إنّ الـــعداة همُ
سلـــوا فـلـسـطـين إنْ رمـــتـــم بـهـا خبراً قـــد استبيحت بها الأعراض والحـُرَم
عـــزَّ الـذهـــابُ إلى مـسـرى الـــنـبـي بها فـمــــن أراد ذهـــابـــــــاً فـالـطـريق دم
سلـــــوا بــلاداً بلـبـنـــــان الـتي طُعنت: أيـــــن المـــواثــــق والهدنات والذمـمُ؟
مــــدريـدُ ها قـد أتـــى إلـيــك شرذمـــةَ يرجـــون سـلـمـاً ، فلا فازوا ولا سلموا

أتـــوا وقــد حــمــلــوا ذُلاً ومــســكــنــةً عـــار الـمــذلـــةّ في طـلـعـاتـهم يَصِـمُ
عـُمــيٌ بـصـائــرهــم ، طـُمسٌ مشاعرهم كأنـهــم في مــراعــي وهـمـهـم غـنــم

المسلمون والعالم

مقابلة مع الشيخ:
عبد الولي بن عاشور علي
من علماء المسلمين في أوزبكستان

إعداد: د مالك إبراهيم الأحمد

انعتق المسلمون في الاتحاد السوفييتي من ربقة الهيمنة الروسية والسـيـطـرة الشيوعية التي جثمــت عـلـى ديارهم واستنفدت خيرات بلادهم وحاولت اجتثاث الدين مـن نفـوسـهـم، وبدؤوا مـسـيـرة جديدة وطويلة في إعادة الدين إلى النفوس ، وإصلاح البلاد بعد الخراب، ومـن بـاب تـوطـيـد الـعـلاقـة مـع الـدعاة في هذه البلاد الإسلامية ذات التاريخ الإسلامي المجيد ، تلتقي البيان مع أحد الشيوخ مــن أوزبكستان ليلقي الضوء على أحوال المسلمين هناك والتحديات التي تواجههم .

*** في البداية نرجو من الضيف الكريم أن يعرف بنفسه**

اسمــي عـبـد الولي بن عاشور علي ، ولدت عام 1950 م في مدينة أنديجان في جمهورية أوزبكستان ، درست على يد الشيخ عبد الحكيم قاري والشيخ قاسم دملة ، حفظت القرآن الكريم في سن الخامسة والعشرين ، ونظراً لقلة المعلمين فقد كنت أدرس ولم أكن أدرس في نفس الوقت على نظام الحجرات ، وأعمل الآن مدرساً للعلوم الإسلامية في أوزبكستان ، وأخطب في جامع أنديجان .

*** وما هو نظام الحجرات؟**

نظام الحجرات هو أسلوب التعليم الخفي أيام الشيوعية ، حيث يتبرع بعض المخلصين بجزء من بيوتهم لتعليم الأولاد القرآن والعربية وأصول الدين ، بعيداً عن أعين الشيوعيين ، ويظل الطالب ما يقارب الأربع سنوات حبيساً داخلها أغلب الزمن ، حتى ينهي متطلبات الدراسة ، وخريجو الحجرات هم أعمدة الدعوة الإسلامية الحالية ، حيث تربوا تربية جادة وقوية وحصلوا على الكثير من العلوم الأساسية النافعة .

*** وما هي الكتب التي كانت تدرس في تلك الفترة؟**

لا يخفى عليكم شح الكتب وندرتها وخطورة اقتنائها في تلك الأيام ، حيث كانت تعتبر جريمة وخصوصاً إذا كانت كتباً حديثة كمؤلفات الأستاذ سيد قطب ، وقد كان الطلاب يحفظون القرآن ويقرؤون في كتب النحو المعروفة واللغة والأدب مثل أدب الدنيا والدين للماوردي ، وفي العقيدة كان كتاب العقائد النسفية معروفاً ، وكذا كتاب التوحيد لمحمد عبده ، وذلك قبل أن يتضح للمشايخ ما فيها من أخطاء ، وفي الفترة الأخيرة وصل كتاب التوحيد للزنداني وهو جيد ، بالإضافة إلى كتب الحديث المعروفة .

*** كيف كان وضع التعليم الديني في بلادكم أثناء الحقبة الشيوعية؟**

بعد قيام الثورة الشيوعية قتل كثير من العلماء ، وسجن الكثير وهرب إلى الخارج البعض منهم ، ولم يبق إلا القلة ، وكان الأمر صعباً جداً في الفترة الأولى حتى عام 1950 حيث خرج بعض العلماء من السجون وبدؤوا حركة التعليم بالطريقة السرية (الحجرات) بأعداد محدودة جداً حتى عام 1970 تقريباً .

بعدها بدأت حركة التعليم تزدهر حتى بداية الثمانينات حيث أحس الشيوعيون بالخطر ، وبدؤوا حملة اعتقالات وتعذيب ، وبالأخص من يوجد لديه كتاب من الكتب الإسلامية الحديثة حيث يعتبر ذلك جريمة قصوى لأنه يدل في نظرهم على اتصاله بالخارج ، وخفت الأوضاع عندما ضعفت الدولة في آخر أيامها حتى سقطت بحمد الله .

*** ما هو الدور الذي قام به الشيوعيون من المسلمين؟**

لا يخفى أن **المرتد أشد كفراً من الكافر الأصلي ،** وهذا كان وضع الشيوعيين المسلمين . كانوا شديدي الوطأة على أبناء دينهم ، ينفذون توصيات أسيادهم من الروس ، ورغم ذلك كان الكثير منهم على ولائه للإسلام كهوية ، ولا يرضى أن يوصم بالكفر ، ويحرصون على دفن موتاهم على الطريقة الإسلامية ، وكان أخطرهم أئمة مساجد ومسئولو الإدارات الدينية ، فقد كانوا يوطدون للشيوعية ، ويراقبون المتدينين ويدعون للحكم الشيوعي ، باعوا دينهم بعرض من الدنيا ، عدا طائفة قليلة كانت تدعو إلى الإسلام ، وتقول الحق ولا تتهاون في دين الله .

*** بعد انحسار الشيوعية ما هي أوضاع المسلمين الآن؟**

بعد اندحار الشيوعية ، تحرر المسلمون كغيرهم - وبدؤوا باستعادة مساجدهم التي حول الكثير منها إلى متاحف بل وبارات ومستودعات ، وكذا مدارسهم ومراكزهم الإسلامية ، وانتشرت موجة بناء المدارس والمساجد في كافة البلاد .

وأما من جهة المدارس الرسمية فما زالت نفس المناهج المنحرفة تدرس ، وهناك أفكار مطروحة لإعادة كتابة التاريخ الذي مسخه الشيوعيون وكذا

اقتراح بتدريس الدين في المدارس الحكومية ، والإعلام ما زال كما هو ، وإن اختفت لهجة الهجوم على الدين وتشويهه ، ويدعي الحكام انشغالهم بالجانب الاقتصادي للبلاد .

*** ما هي الأحزاب التى نشأت في الجمهوريات الإسلامية؟**

هناك حزب الحرية ، وحزب الاتحاد وهو رسمي فقط في طاجكستان ومواقفه في المعارضة قرية ، وأما الأحزاب الإسلامية فيوجد حزب النهضة الإسلامي .

*** حبذا لو أعطيتنا نبذة عن حزب النهضة؟**

تـأســس حــزب الـنـهـضـة مع قيام الإصلاحات في عهد جورباتشوف قبل حوالي خمس سنوات، وقبل التقسيم وبعد التقسيم سعى إلى التسجيل في كل دولة ، فهو معترف به مثلاً في بعض الجمهوريات مثل أوزبـكـستان ويرأسه الشيخ عبد الله أوته ، وكذا في طاجكستان وأيضاً في روسيا ويرأسه أحمد قاضي . والحزب له مجلس شورى وللعلماء فيه دور فعال ، ويركز على الجانب التعليمي بالدرجة الأولى ، وإنشاء المدارس ، خصوصاً للبنات ، وكذا بناء المساجد وتجهيز المكتبات الإسلامية ، ويصدر بعض الصحف الإسلامية مثل (الدعوة) في أوزبكستان ، (النجاة) في طاجكستان و (الوحدة) في روسيا ، وقام بطبع ونشر العديد من الكتب الرسائل بالعربية وباللغات المحلية والحزب بحاجة ماسة للدعم بكافة أنواعه كي يقوم بالمهمة الملقاة على عاتقه ، وبالأخص توفير الكتب والمدرسين واستقبال الطلاب في الجامعات الإسلامية في البلاد الإسلامية .

*** هل مررتم بمشاكل طارئة؟**

نعم، فقد اتهمنا بالوهابية في بلادنا وقام بعض الشيوخ المتعصبين والصوفية ضدنا ، وأثاروا العامة وحرضوهم علينا .

*** ماذا كان موقفكم؟**

استخدمنا أسلوب الرد الإيجابي ، فقد تركناهم جملة ، ونشطنا في نشر الأفكار الإسلامية الصحيحة ، ونجحنا بفضل الله ، وقد عاد إلينا بعض من كان يتهمنا ويعادينا .

*** وهل الوهابية مذهب؟**

لا ، إنــهــا دعوة تجديدية للشيخ محمد بن عبد الوهاب سار على خطا أسلافه من الأئمة المعتبرين كابن تيمية وابن القيم ، والأئمة المتبعين كابن حنبل .

*** ما هي المشكلات التي تعانيها الدعوة في الداخل؟**

- الصوفية: وهي قديمة في هذه البلاد، وأغلب المنتسبين إليها من العوام الذين لا يفقهون من الدين شيئاً ، فقط يعتمدون على أقوال شيوخهم .
- القومية : وقد سـاهـم الروس في تأصيلها بين المسلمين ، ونسعى للقضاء عليها عن طريق التعليم وخصوصاً بين الدعاة عن طريق التعارف والاجتماعات .

- الـعـلـمـانـيــة: وهي داء ينخر في المجتمعات الإسلامية، والحكام لدينا لا يعلمون من الإسلام شيئاً مما يجعل بعضهم يدعو إلى تطبيقها ، والطامة أن بعض المنسوبين للعلم صرح بأن الإسلام لا يعني بالحكم وشؤونه.
- الاقتصاد: فالشيوعيون نهبوا خيرات بلاد المسلمين وأنشأوا بها المصانع في روسيا وتركوا للمسلمين الفقر والتخلف .

*** هل هناك تحديات من الخارج؟**

- إيران : فلها نشاط محموم خصوصاً في طاجكستان حيث اللغة مشتركة (الفارسية) وكذا في أذربيجان حيث الأغلبية شيعية ، أما العامة لدينا (أوزبكستان) فعداوتهم للشيعة ظاهرة ، لكن المشكلة في بعض العلماء الذين يستدرجهم الشيعة .
- تركيا: وخطرها في محاولة نقل النموذج التركي العلماني للجمهوريات الإسلامية وذلك بدعم وتوجيه من الولايات المتحدة .
- التنصير: حيث الأناجيل توزع مجاناً ، ومن يتنصر يجد الرعاية والدعم ، وأكبر خطر في قرغيزيا حيث أكثر السكان لا يفهمون من الإسلام شيئاً حيث إن لغتهم هي الروسية ، فهم مهددون .
- اليهود: وهم موجودون في كل الجمهوريات ، وإن هاجر أكثرهم فما يزال لهم وجود مؤثر ، ويحاولون السيطرة الاقتصادية على بلاد المسلمين ويقومون كعادتهم بإثارة الفتن والمشكلات .

*** هل كان للجهاد الإسلامي في أفغانستان أثر على المسلمين في الجمهوريات السوفييتية؟**

نعم ، وخصوصاً في طاجكستان حيث اللغة المشتركة ، وفقد المسلمون الكثير من أبنائهم ظناً منهم أن الـقــتــال كان لنصرة الحق ضد الثوار المجرمين ، لكنهم اكتشفوا حقيقة الأمر في نهاية المطاف ، وتأثر الشباب المسلم الذين وقعوا في أيدي المجاهدين من مواقفهم الطيبة ، حيث أنهم أطلقوا سراح الكثيرين منهم بعد إشهارهم الإسلام ونطقهم بالشهادتين .

*** ما هو سبب سقوط الشيوعية؟**

سقطت بسبب دماء الشهداء ودعوات المظلومين .

*** مشاكل الأمة الإسلامية كثيرة ما هو العلاج؟**

لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها .

*** التعصب المذهبي موجود في كثير من بـــلاد المـسـلـمين ، ما توجيهكم في ذلك؟**

المذاهب الفقهية ثروة للأمة ، فنحن نجل أئمة المذاهب ونحترمهم ونسير على أقوالهم "إذا صح الحديث فهو مذهبي" ولا نتعصب لأي منهم ، بل التعصب للحق فقط .

*** هل هناك حركات إسلامية وافدة على بلدانكم؟**

نعم هناك جماعة التبليغ ، ولهم دور طيب ومحمود في انتشال الناس من الفسق والانحراف ، ونحن نكمل ما نقصهم ، ونقوم بتربية الناس وتعليمهم .

في الختام : نشكر الضيف الكريم ، ونسأل الله له ولإخوانه التوفيق والسداد في مسعاهم .

مـلاحـظـة : ويسر المنتدى الإسلامي استقبال تبرعات المحسنين وزكواتهم لدعم المشاريع الإسلامية في أوزبكستان ونشر منهج أهل السنة والجماعة في تلك البلاد .

السودان ... وتحرير الجنوب

إذا كانت هناك مشكلة في العالم الإسلامي ففتش عن الإنكليز، هذه المقولة تنطبق تماماً على الــســــودان الذي استعمر من قبل بريطانيا في نهاية القرن التاسع عشر، كما انطبقت على فلسطين وباكستان ، وكل مشاكل الحدود بين دول العالم الإسلامي... فالإنكليز لم يخرجوا من السودان إلا بـعـد أن تـركـوا فيها مشكلة قابلة للتفجر ، لقد أقفلوا جنوب السودان عن شـمــالــــه حتى يتعمق شعور الانفـصال عند الجنوبيين، وفي هذه الأيام ونحن نسمع أنباء سقوط مدن الجنوب وتحريرها مـن حركة التمرد التي يقودها الصليبي جون قرنق لا بد من العودة قليلاً إلى الوراء لنرى كيف بدأت هذه المشكلة ، ولماذا؟

نبذة تاريخية

في عام 1898 احتل الإنكليز السودان وقد أدركــوا لــلـوهـلــة الأولـى أن الصلة بين شمال السودان العربي المسلم وجنوبه الوثني سيؤدي آجلاً أو عاجلاً إلى انـتـشـار الإسـلام بـيـن صفوف الوثنيين، ولذلك أقدم هذا المستعمر الذي عرف بخبثه وذكائه على عزل الجنوب، فعمد إلى تشكيل فرقة عسكرية من أهل الجنوب وإبعاد الجنود من أهل الشمال، ثم طردوا التـجــار الـشـماليين وقد صدر بذلك منشور رسمي يقضي بترحيل جميع التجار الشماليين باعتبارهم مسلمين ويخشى من تأثيرهم على أهل الجنوب . بل منعوا الجنوبيين من ارتداء ملابس أهل الشمال أو التكلم بلغتهم ، والأسوأ من هذا كله هو منع الشماليين من الدخول للجنوب فأصـبـح الـسـوداني الذي يرغب في زيارة الجنوب يحتاج إلى إذن من الحكومة ، وقد صدر في هذا قانون المناطق المقفلة في عام 1930 وفيه أعطت المادة (22) للحاكم الــعـام اعتبار الجنوب منطقة مقفلة سواء للسودانيين أو غيرهم ، وهكذا أغلق الجنوب في وجــــه الــدعــوة الإسلامية ، وفتحت أبواب التبشير بالنصرانية فجاءت إرساليات من أمـريـكــا واستراليا وكانت تعمل في وسط قبائل (الدينكا) .

وماذا بعد الاستقلال؟

عندما شكلت أول حكومة انتقالية برئاسة إسماعيل الأزهري بدأ أول تمرد في السودان عام 1955م ، وذلك نتيجة الحقد الذي زرعه المستعمر في نفوس الجنوبيين ، وفي عهد حكومة الفريق إبراهيم عبود اسـتـمرت الإرساليات النصرانية في بث روح الكراهية لأهل الشمال ، فـحـاولــت الـحـكـومــة الحد من نشاطها واعتقلت بعض القساوسة الذين ساهموا في كتابة المناشير المناوئة لحكومة الـســـودان ، وفي عام 1962 م بدأت حركة تمرد بقيادة (ويليام دينغ) وذلك على أثر توقيع اتـفـاقـية المياه مع مصر ، واستمر هذا التمرد حتى عام 1965 عندما عقد مؤتمر المائدة المستديرة وانـتـهـى بإعطاء الجنوب الحكم الذاتي في إطار سودان موحد ، ثم كانت حركة التمرد الثانية بقيادة (جوزيف لاغو) واستمرت حتى عام 1972 وانتهت بتوقيع اتفاقية أديس أبابا في عـهـد جعفر نميري ، وبسبب هذه الاتفاقية انفصل جون مرنق عن حركة جوزيف لاغو متهماً إياه بمسايرة الشماليين ، واستمر قرنق في تمرده مــسـتـغــلاً ضـعـف وميوعة الحكومات السودانية المتعاقبة ومستغلاً مشاكلها الاقتصادية والسياسية .

ومن أهم مطالب حركة التمرد - كما صرح أحد قادتها (لام كول) في مؤتمر كينيا الذي عقد برعاية الرئيس الأمــريــكــي كــارتــر - استبعاد الدين نهائياً عن الدولة ، ومن الأهداف الرئيسية لبعض فصائل التمرد الانفصال التام للجنوب .

أما حركة التمرد التي يقودها قرنق مــنــذ عـــام 1983 فقد تجاوزت هذا إلى قضية تحرير السودان كله ليصبح دولة علمانية اشتراكية - كمـا جاء في البند العشرين ، الفصل السابع من دستور الحركة : "إن الجيش الشعبي لتحرير السودان يقاتل لتأسيس سودان اشتراكي موحد ، وليس جنوب السودان منفصلاً". كما جاء في البند الثاني والعشرين فقرة (ج): "إن قوة الجيش الشعبي ستنمو وتتعاظم لتصبح قوة تقليدية قادرة على تحطيم جيش السودان الرجعي" إذن هو ضرب الإسلام في السودان كله . وقد ساعد حركة التمرد نظام منغستو في أثيوبيا ، بل إن جيش أثيوبيا ساعد قرنق في بعض العمليات العسكرية ، كما تلقى قرنق مساعدات من ألمانيا الشرقية وكوبا ودعم الغرب هذه الحركة ، حتى إن وفداً من الكونغرس الأمريكي التقى بقادة حركة التمرد داخل الأراضي السودانية وبدون الحصول على تأشيرة دخول ، وتدفقت المساعدات على قرنق من البوابات الجنوبية للسودان - مثل كينيا - كما قدم له الدعم المعنوي بالإعلام الذي يتكلم عن اضطهاد الجنوبيين إلى آخر هذه النغمة التي يتقنها الغرب .

ودعمت إسرائيل هذه الحركة ، وزار قرنق إسرائيل عدة مرات ، كما نشط مجلس الكنائس العالمي بمساعداته وإرسالياته ، ومع هذا الدعم فقد كانت

الحكومات السودانية التي تواجه قرنق ضعيفة ، فقد سقط نظام نميري ، ولم تسقط مدينة واحدة من مدن الجنوب في يد الحكومة السودانية واحتل المتمردون أكثر من عشر مدن مثل إبور ، منقلا ، توريت ، نواط . وفي عهد الصادق المهدي ذهب وفد الحكومة إلى أديس أبابا ليوقع اتفاقية مع قرنق وكان من شروطها إلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية .

تحرير الجنوب

منذ أكثر من شهر ونحن نسمع أنباء سقوط مدن الجنوب في يد الجيش السوداني تدعمه قوات الدفاع الشعبي ، ولا شك أن إرجاع الجنوب إلى حظيرة السودان هو رد على التجزئة والتفتيت الذي - يريد الغرب فرضه على الدول العربية والعالم الإسلامي ، كما أن الجنوب أصبح بؤرة للتبشير بالنصرانية ومحاربة الإسلام ، وقد ساهمت قوات الدفاع الشعبي في القتال ومن أشهر العمليات التي خاضوها : الفجر الصادق ، والوعد الحق ، والمغيرات صبحاً التي دخل فيها عنصر الخيل لأول مرة ، وقد يواجه الجيش صعوبات كبيرة عندما يبدأ موسم الأمطار الصيفية وتتحول الأرض إلى مستنقعات وبحيرات . وربما تـلـجــأ الدولــة إلى المفاوضات ولكن من موقع المنتصر القوي ، إن إرجاع الجنوب وتوحيد السودان عـمـل جيد وبشتى المقاييس فهو على الأقل سيعطي السودان فرصة لعملية التنمية والبناء .
إن ذلك سيعطي السودان دفعة قوية نحو الاستقرار السياسي والتنمية ومن ثم سيساهم بإذن الله بنشر الإسلام في الجنوب الذي هو بوابة السودان على أفريقيا .

الأمة الألبانية تخرج من الجحيم

محمد آل الشيخ

[ألبانيا جمهورية اشتراكية شعبية قائمة على الحكم المطلق للطبقة الحاكمة.]
[حزب عمال ألبانيا هو السلطة السياسية الوحيدة التي تقود الدولة والمجتمع.]
[الماركسية اللينينة هي المذهب الحاكم.]
هذه فقرات من دسـتـور ألبانيا التي كانت الدولة الإسلامية الوحيدة في أوربا.. فكيف جاء الإسلام إلى هذه الدولة الأوربية ؟ ثم كيف صارت هذه الدولة المسلمة شيوعية وجمعت بين التناقضات ؟ وما هو حال أهلها اليوم ؟ وما مستقبلهم ؟ هذا ما سنتناوله في هذا الموضوع .

تاريخ الألبان

تفوق قدرة التحمل لـلـشـعــب الألباني ما نسمعه اليوم عن المجاهدين الأفغان ، بل تكاد تتطابق طبيعة الشعب الألباني مع طبيعة أرضه ، ويصح لنا

القول أن التضاريس الجبلية لألبانيا أكسبت الشعب قدرة فائقة على التحمل ، وهذا هو التفسير الذي كان يبحث عنه العالم وهو يسمع بالأهــوال التي كــانت ومــا زالت تصب على رأس الألبان وهم صابرون متحملون ، بل أحياناً يلجأون بأنفسهم إلى الخيار الصعب ، كما فعلت الأقلية الألبانية في يوغسلافيا عندما اعتصموا أسابيع في المناجم عـلى عمق مئات الأمتار تحت نير الاضطهاد الصربي الحاقد ، وذلك بعد أن طالبوا بالحكم الذاتي .
وساعدت الأرض وطبيعة الشعب على محافظتهم على هويتهم ووجودهم ، رغم ما عانوه من اضطهاد طوال مئات السنين وما وقعوا تحته من احتلال وحروب . ولقد دفع الشعب الألباني عبر التاريخ الثمن غالياً لموقع بلاده الصعب بين كثير من الإمبراطوريات ابتداء باليونان ثم الرومان وانتهاء بالصرب والشيوعيين .

دخول الألبان إلى الإسلام

عرف الألبان الإسلام في وقت مبكر من القرن الـحــادي عـشــر الميلادي عن طريق التجار المسلمين ، ولكن لم تشهد ألبانيا إقبالاً على الإسلام إلا بعد ذلــك فـفـي الـقـــرن الـثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) كانت الجيوش العثمانية الإسلامية عام 7890 هجريـــة (1389م) بقيادة مراد الأول قد وصلت إلى إقليم كوسوفو الذي تحتله يوغسلافيا الآن فكان ذلـك أول احتـكاك للألبان بالـدولـة الإسـلامـية . ثم بعد ثلاث سنوات عاد ولده بايزيد لمواصلة عمل أبيه ، ففي العام التالي استطاع أن يفــرض الولاء على ألبانيا من دون حرب فدانت له ودفعت الجزية عام 1393م وظلت على هــذه الحال 60 سنة . ثم عاد الألبان وانتفضوا على الدولة العثمانية ، وأخيراً انتصر العثمانيون نصراً نهائياً عام 882 هجرية (1479م) ولم تحدث في البلاد بعدها مقاومة منظمة ، وإن بقيت المواني بعيدة عن سلطة العثمانيين مدة أطول حيث فتحت انتيفاري آخر مدن ألبانيا عام 979 هجرية .
ولقد كانت الدهشة كبيرة حيث تحولت غالبية الألبان إلى الإسلام في أقل من مائة سنة ، ولعل من أهم أسباب ذلك أن الألبان عرفوا ولأول مرة في حياتهم الدين الذي يناسب الفطرة ، وعرفوا شيئاً من التحسن في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، وكذلك كان هذا التحول الجماعي ردة فعل قوية لمحاولات اليونان والرومان حملهم على التنصر بالقوة .
والخلاصة أن الألبان كانوا تجربة فريدة واجهها العثمانيون في البلقان ، حيث كانوا في كل بلد يواجهون ثقافة وحضارة وأوضاعاً اجتماعية وإدارية ودينية قوية تظل تطبع أهلها في جانب من جوانب حياتهم حتى بعد دخولهم تحت المظلة العثمانية ، أما الألبان فكانوا أقرب إلى الفطرة الأولى ، فكان من السهل عليهم أن يعيدوا تشكيل حياتهم وفقاً لدينهم الجديد .

ألبانيا تصبح ولاية عثمانية

سارعت الدولة العثمانية إلى إعطاء الألبان المواطنة الكاملة وحق تقلد أعلى المناصب في الدولة ، فألبانيا غدت ولاية عثمانية وأهلها أصبحوا مسلمين .
وكان للألبان دور كبير في دعم الدولة العثمانية ، وشاركوا في شتى المجالات ، فظهر منهم الوزراء والقضاة والكتاب والدبلوماسيون ، ولكن كان المجال العسكري هو المجال الأكبر الذي شاركوا فيه ، فسارع الألبان إلى الانخراط في الجيش العثماني ، وسبب برزوهم في هذا ما عرف عن القوم من شدة وشجاعة وقوة وبأس فاعتمدت عليهم الدولة عسكرياً اعتماداً كبيراً وشكلوا عماد الجيش العثماني ، وهذا من أهم أسباب انتشارهم الواسع في الولايات العثمانية ، فقد كانوا على درجة عالية من الإخلاص والانضباط والبأس في الحروب . وهؤلاء هم الذين يعرفون في البلاد العربية بالارنؤوط ، وهو الاسم الذي أطلقه عليهم العثمانيون .
وكانت أعظم مشاركاتهم في الدفاع عن الحدود الغربية للدولة العثمانية في مواجهة دول أوربا التي ما فتئت تحاول دحر العثمانيين واسترجاع ما أخذوه من أوربا .
وظلت ألبانيا تؤدي دوراً مهما داخل الإمبراطورية العثمانية حتى نهاية القرن التاسع عشر الذي ظهرت فيه النزعة القومية ، وحميت فيه كذلك الحرب مع روسيا ودولة النمسا والمجر وتبع ذلك بداية انهيار الدولة العثمانية وضياع ولاياتها في أوربا وغيرها ، خاصة بعد إرغام الدولة العثمانية على توقيع اتفاقية سان استيفانو مع روسيا عام 1878م فلم يبق مع الدولة العثمانية في البلقان سوى ألبانيا ومقاطعة البوسنة والهرسك وسالونيك شمال اليونان ، والجديد في هذه المعاهدة أنه تم ولأول مرة تقسيم ألبانيا حيث اقتطع جزء من أراضيها وهو بعض مقاطعة كوسوفو وضم إلى دولة الصرب ، وظهرت على السطح في تلك الأثناء القومية الألبانية لأول مرة وكان الذي أذكى نارها فرنسا وإيطاليا وألمانيا ، لتقويض الإمبراطورية العثمانية تمهيداً لإبعادها عن الإسلام ، وقد أدى ذلك إلى صراعات بين الألبان المناوئين للانفصال عن الدولة والألبان المؤيدين لذلك ، ولكن الدول الغربية ضغطت على الدولة العثمانية من جديد وأرغمتها على توقيع معاهدة برلين التي تنازلت فيها عن بعض الأراضي الألبانية ، مما أدى إلى تقسيم جديد للأراضي الألبانية ، الأمر الذي آثار جميع الألبان على الخلافة وأظهرت تلك الأحداث بجلاء قوة القومية الألبانية ومدى تغلغلها في النفوس ، وعدم قبولهم لتقسيم أراضيهم وشعبهم ، فثاروا ثورة عارمة مطالبين بوحدة الأمة الألبانية والدفاع عن حقوقها بل والانفصال عن الدولة العثمانية ، هذا الانفصال الذي جر عليهم الويلات فيما بعد ، ومع أن الدولة العثمانية قمعت هذه الثورات بشدة إلا أن نارها لم تخمد ، وظلت متقدة بشكل أو بآخر إلى يومنا هذا ، فما زالت لديهم نزعة قوية لتوحيد شعبهم وأراضيهم .

وانتهى بهم المطاف حين ظهرت القومية الطورانية في تركيا على يد مصطفى كمال ، وذوبان الرابط الديني الذى كان يربط ولايات الدولة ، فثار الألبان ثورتهم النهائية على الدولة العثمانية عام 1909 م ، ثم ما لبثت أن نشبت حرب البلقان عام 1912 م وهي الحرب التي أنهت فعلياً علاقة ألبانيا بالدولة العثمانية ، وبدأت خطأً شديداً في حياتها يبعدها عن الإسلام شيئاً فشيئاً لحساب القومية الألبانية .

ألبانيا بعد العثمانيين

كانت المؤامرة على الدولة العثمانية كبيرة ، وكانت مصممة بحيث تقضي تماماً على كل أثر للإسلام في أوربا ، بما فيها ألبانيا . فكان نصيب ألبانيا أن تحتلها إيطاليا بعد سنتين فقط من رحيل العثمانيين عنها أي في عام 1915م . وبعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولتين الكبيرتين في ذلك الوقت الدولة العثمانية ودولة النمسا والمجر ، أعاد مؤتمر باريس عام 1919م تقسيم المنطقة فكافأ الصرب على بلائهم في الحرب ضد العثمانيين فضم إليهم كثيراً من أراضي الدول المجاورة وعلى رأسها مقاطعة كوسوفو كاملة مع أنها أرض ألبانية وأهلها ألبان مسلمون كما أخذ منها أيضاً منطقة شامريا وضمت إلى اليونان . فجنت ألبانيا من انفصالها عن الدولة العثمانية ثماراً سيئة ، فصارت ألعوبة للدول الكبرى في ذلك الوقت ، وبعد أن استقلت عن إيطاليا عام 1925 م عاد الإيطاليون واحتلوها عام 1929م وبقيت تحت الاحتلال الإيطالي أربع سنوات ، ثم احتلها الألمان عام 1943م وانسحبوا منها بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية فاستقلت ، ولكنها هذه المرة وقعت في قبضة أخبث نظام شيوعي عرفه التاريخ ودعّم هذا النظام شيوعيته بتحالفه مع يوغسلافيا (1944-1948م) ثم مع الاتحاد السوفييتي (1948-1961م) ثم مع الصين (1961-1978م) ، ثم تخلى عنهم جميعاً متبنياً نهجاً شيوعياً بحتاً ليس له نظير .

ألبانيا دولة الأبواب المغلقة

تحولت ألبانيا من الدولة الإسلامية الوحيدة في أوربا إلى الدولة الشيوعية البحتة الوحيدة في العالم بسرعة خاطفة ، حيث ظهر الحزب الشيوعي الألباني إلى الوجود عام 1941 م بمساعدة وتدبير من يوغسلافيا ، وبسبب دور الحزب في سرب الاستقلال استولى الشيوعيون سعادتهم على السلطة عام 1944م وظهر زعيمه أنور خوجا إلى السطح ليجثم على حكم البلاد أربعين سنة ، ومع أنه مولود لأبوين يدعيان الإسلام إلا أن سلوكيات أسرته وسلوكياته هو أيضاً فيما بعد جعلت الناس لا ينسون أصله اليهودي ، أضف إلى ذلك أنه درس في فرنسا فتخرج منها شيوعياً ، ثم اعتنق بعد ذلك الإلحاد وعادى كل الأديان .

حول أنور خوجه ألبانيا من الإسلام إلى الإلحاد ، فشن أقسى الحملات على الأديان وخص الإسلام بحرب لا هوادة فيها ، فدمر جميع المساجد وحولها إلى مخازن ومتاحف ومتاجر ، وألغى جميع المؤسسات الدينية وحظر الشعائر التعبدية حظراً تاماً ، ولم يسمح بأي رحمة تدخل قلبه تجاه مخالفيه فأنزل فيهم أشد العقوبات وسعى بكل ما أوتي من قوة إلى طمس معالم الحقبة العثمانية مع أنها هي الحقبة الحضارية في تاريخ ألبانيا ، وجعل للبلاد رمزاً تاريخياً هو الاسكندر بك الذي عرف بكرهه للعثمانيين ، ورمزاً معاصراً هو أنور خوجه نفسه .
وقد نجح هذا الطاغوت إلى حد كبير في طمس هوية الألبان الإسلامية فنشأت أجيال كاملة بلا هوية ولا دين كما كانوا قبل ثمانية قرون ، ومن يزور ألبانيا اليوم لا يصدق أن هذا البلد قبل أقل من قرنين من الزمان كان أهله يحملون راية الإسلام مجاهدين في سبيل الله تحت راية العثمانيين .
وقد كان هجوم الشيوعيين على الإسلام في البداية مقتصراً على إخراج المرأة المسلمة إلى المعامل والمصانع وورش البناء والمزارع والمكاتب حتى أن المرأة الألبانية أجبرت على المشاركة في العمل في ثلاث نوبات على مدار الـ 24 ساعة ، وأسندت إليهم أعمال شاقة مثل الرجال وحرص الشيوعيون على زواج المسلمات من غير المسلمين ، ثم انتقلت الدولة إلى مرحلة أخرى فشددت الخناق على الإسلام ، وطاردت كل من يؤدي الشعائر التعبدية ، ونظمت حملات قاسية من أجل استئصال جذور العقيدة والشعائر والأدب والسلوك الاسلامي من حياة الناس . وبلغ الاضطهاد أوجه عام 1967 م عندما حرض أنور خوجه الشباب الذين تربوا في أحضان الشيوعية على تدمير المساجد والجوامع فهدموا المنارات بالجرارات وما بقي منها حول إلى متاحف ومعالم ثقافية ، وإمعاناً في الإهانة حول بعضها إلى دورات مياه ، ثم صدرت قوانين رسمية تعاتب كل من يؤدي شعائر تعبدية ، فخرج جيل ألباني ممسوخ مسخاً تاماً ، وسلط الولد على والده والوالد على ولده حتى خاف الآباء أن يعلموا أبنائهم كلمة التوحيد ، فقد كانت المعلمة تسأل التلاميذ ماذا تقول والدتك؟ وماذا تعمل جدتك؟ وهل يقول والدك أو جدك أن الله واحد لا شريك له؟ وماذا طبخت والدتك من الحلويات بمناسبة عيد الفطر؟
ولعبت ألبانيا دوراً مهما على مستوى العلاقات الدولية خاصة بين الدول الشيوعية الكبرى ، وكان هذا الدور أكبر من حجمها (مساحتها حوالي 27 ألف كم مربع ، وسكانها يزيدون على الثلاثة ملايين قليلاً) وسبب هذا الدور يعود إلى تنافس الدول الشيوعية على الاستحواذ عليها مما أكسبها وضعاً دولياً مميزاً ، إضافة إلى موقعها الهام جنوب القارة الأوربية وكونها مخرجاً إلى البحر المتوسط عبر البحر الأدرياتيكي الواقع بينها وبين إيطاليا .

ومن جهة نظر أنور خوجه فقد خاب أمل هذا الشيوعي الملحد في الدول الشيوعية واحدة بعد الأخرى كما مرّ معنا فابتعد عنها كلها عندما تبنت سياسات اقتصادية أكثر تحرراً ، فقد اختلف مع الاتحاد السوفييتي وحلفائه بسبب سياسات خروتشوف الإصلاحية في أوائل الستينات فأصبح يعتمد اعتماداً كلياً على المساعدات الصينية غير أن الصين كذلك بدأت بعد هلاك ماو تسي تونغ تسير في درب الإصلاح الاقتصادي فوجدت ألبانيا نفسها في عزلة تامة وسط العالم الشيوعي معتمدة على نفسها ومنغلقة على شعبها .
ولما توفي أنور خوجه عام 1985م خلفه نائبه رامز عليا الذي بدأ حكمه بمواصلة سياسة سلفه أنور الانعزالية لكنه أمام التغيرات التي شهدتها الدول الشيوعية من حوله في السنوات الماضية وكثرة الاضطرابات عليه في الداخل ولجوء كثير من الألبان إلى السفارات الأجنبية في تيرانا عاصمة البلاد وهروب أعداد كبيرة من الألبان إلى إيطاليا عبر البحر اضطر إلى إعلان إصلاحات داخلية وخفف كثيراً من الضغوط على الشعب وسمح بمزاولة الشعائر التعبدية ، ثم دعا إلى انتخابات عامة عام 1991م فاز فيها هو بطبيعة الحال ، ثم أجريت انتخابات أخرى هذا العام هزم فيها الشيوعيون فاضطروا لتسليم السلطة للحزب الديمقراطي العلماني .

ألبانيا اليوم لمن يسبق!

ألبانيا لمن سبق فلو سبق النصارى لحولوها إلى نصرانية ولو سبق المسلمون لحافظوا على بقاء الإسلام فيها ، هكذا يلخص أحد الدعاة حال ألبانيا اليوم .
في أواخر عام 1990م وبسبب الانهيار الذي كانت تعيشه الشيوعية سمحت الحكومة بمزاولة الشعائر التعبدية وأعادت إلى المسلمين بعض المساجد التي نجت من التدمير وسارع المسلمون إلى الصلاة فيها . ومع ذلك فالوضع الحالي في ألبانيا سيئ للغاية ، وتعتبر ألبانيا أفقر دولة أوربية فهي تعيش حالياً على المساعدات الخارجية التي تأتيها من الفاتيكان وإيطاليا واليونان .
ويعاني المسلمون من عدم توفر الكتب الإسلامية والدعاة والمدرسين . ومما عقد المسألة هناك السياسة الشيوعية السابقة التي كانت تزوج المسلمين والمسلمات من المسيحيين والمسيحيات مما جعل البيت الواحد الآن فيه أكثر من دين .

سباق المبشرين

وبسبب الأحوال المأساوية في ألبانيا فإن الشباب الألباني يحاول جاهداً الخروج من ألبانيا بشتى الطرق الممكنة وقد استغلت اليونان ذلك ففتحت مكتباً خاصاً داخل السفارة اليونانية في تيرانا لإعطاء الشباب الألباني حق الهجرة إلى اليونان بشرط أن يغير أسمه إلى اسم مسيحي ، ويتم تعميده مبدئياً في السفارة على أن يكون التعميد النهائي عند وصوله إلى اليونان .

وينشط الفاتيكان في عمل منظم داخل ألبانيا يبدأ بإرسال الوفود التبشيرية وإرسال الصحفيين والمعلمين ويعقدون مؤتمرات أسبوعية يوزعون خلالها الأناجيل والكتب الصليبية باللغة الألبانية مما يوحي بأنهم كانوا مستعدين لذلك منذ مدة . ويقوم الفاتيكان كذلك بفتح المعامل والمتاجر ويوظف فيها الشباب الألباني ويشترط عليهم وضع الصليب في أعناقهم .

ثم سارعت الأم تيريزا المتخصصة في تنصير الأطفال بالذهاب إلي ألبانيا وشراء بعض البيوت واسترجاع بعض الكنائس واحضرت معها حوالي 100 مبشرة ليقمن بتوزيع الأناجيل والكتب التنصيرية والصلبان على الأطفال ثم يقمن بتغيير اسماء الأطفال المسلمين إلى أسماء مسيحية ، وقد وعدت الأم تيريزا البابا بتقديم 100000 طفل مسلم يكونون قد تنصروا هدية له عند زيارته الأولى ألى البانيا .

ويعمل الفاتيكان حالياً على فتح كلية لتدريس الدين النصراني وتخريج القساوسة ووضع الفاتيكان كذلك خطة لبناء 200 كنيسة خلال العامين القادمين مع أن الكاثوليك في ألبانيا لا يتجاوزون 10% من السكان . ومن القوى الصليبية التي تعمل هناك السفارة الإيطالية فلها نفوذ سياسي قوي على الحكومة الألبانية بحكم أن إيطاليا كانت تحتل ألبانيا في الماضي .

حاجة المسلمين الألبان اليوم

يعاني المسلمون في ألبانيا من الجوع والجهل ، فيحتاجون الخبز لسد الجوع والإسلام لرفع الجهل .

لقد كان عدد المساجد في ألبانيا قبل الحكم الشيوعي 1600 مسجداً ، وقد أعادت الحكومة اليوم عدداً قليلاً جداً منها ، ويحتاجون اليوم حوالي 70 مسجداً حاجة عاجلة طبقاً لما ذكر الشيخ صبري كوتشي رئيس الجماعة الإسلامية الألبانية في تقرير له كتبه في يناير من هذا العام . ومن أهم ما يجب تركيز العمل من أجله استعادة المساجد التي صادرتها الدولة وحبس الأوقاف عليها وتزويدها بالأئمة والدعاة والمدرسين .

ومما سيساعد على إبقاء الإسلام في ألبانيا العناية بمدارس الأطفال لتعليمهم الإسلام واللغة العربية والقرآن الكريم لبناء جيل ألباني مسلم وإقامة المؤتمرات الإسلامية لتوعية الناس بدينهم وإيجاد تيار عام يرجع الناس إلى الإسلام ، وطباعة الكتب الإسلامية بلغتهم وتوفيرها مجاناً لهم ثم إقامة مراكز وكليات إسلامية متخصصة تخرج الأئمة والدعاة لكي يقوموا بتشغيل هذه البرامج والإشراف عليها والتوسع في قبول الطلاب الألبان في الجامعات الإسلامية لإعدادهم للقيام بالدعوة هناك .

ويجب ألا ينسى المسلمون الاحتياجات الأخرى للشعب الألباني مثل المساعدات الغذائية والعينية فهذا الباب هو الذي يدخل منه المنصرون لتنصير الألبان .

مستقبل الأمة الألبانية

لعل أحداث يوغسلافيا خلال السنة الماضية هي أول خطوة على طريق توحيد الأمه الألبانية ، فيوغسلافيا تضم أكبر تجمع ألباني خارج ألبانيا حيث يقدر عدد الألبان في يوغسلافيا بأكثر من ثلاثة ملايين ألباني وتفكك يوغسلافيا لا بد أن يصحبه مطالبة الألبان في يوغسلافيا بالانضمام إلى بلدهم الأصلي إما عاجلاً أو آجلاً وسيساعد سقوط الشيوعية في ألبانيا كثيراً على إتمام ذلك .

وهذا بلا شك سيسبب مواجهة بين الألبان والصرب ، ومواجهة من هذا النوع لن تكون سهلة فقد تستمر طويلاً وتتحول إلى حرب أوربية واسعة ، ما لم يتدارك الصرب والأوربيون عموماً ذلك ويسارعون إلى رفع الظلم عن الشعوب المضطهدة في البلقان وعلى رأسهم المسلمين في ألبانيا والمسلمين في البوسنة والهرسك . وإلا فإن مرحلة من الصراعات الجديدة قد تبدأ في البلقان ولا يعلم إلا الله وحده أين ينتهي خاصة أن حروباً عالمية كانت شرارتها الأولى في البلقان .

وما مطالبة المسلمين الألبان في كوسوفو بالاستقلال أو الحكم الذاتي التى بدأت العام الماضي إلا مرحلة أولى للانضمام إلي ألبانيا هذا الانضمام الذي سيكون مسألة طوال الفترة القادمة ، والمقلق أنه لا توجد دولة واحدة في البلقان توافق على وحدة الأمة الألبانية لأن هذا سيجعلها قوة كبرى مؤثرة في المنطقة ثقافياً وسياسياً ودينياً ، فمن المتوقع أن تطالب بإقليم شامريا الألباني الذي تحتله اليونان وأن يعود إليها مئات الآلاف من الألبان المهاجرين من كل مكان .

ومعظم الألبان خارج ألبانيا اليوم موجودون في يوغسلافـيـا ففي إقليم كوسوفو الذي يخضع لحكم الصرب المباشر يوجد مليونان من الألـبـان ويـشـكـلــون 92% من سكان الأقليم الذي يحكمه الصرب وحوالي 800 ألف في مقدونيا وحوالي 300 ألف في جمهورية الجبل الأسود . وينتشر الألبان كذلك في معظم بلاد البلقان خاصة الــيــونــــان ، ويوجد مجموعة منهم هاجروا إلى تركيا من يوغسلافيا بتواطؤ بين تيتو ومصطفى كــمــال وقد عرفوا في الغالب في هذه المناطق بشدة تماسكهم وصعوبة ذوبانهم في المجتمعات المسلمة مثل البوسنة والهرسك حيث يفضلون العيش في جماعات صغيرة منغلقة .

وقد نجح الألبان في الماضي كثيراً في الـتـفـوق على ظروفهم الصعبة بطريقة فريدة فهم رغم التشتت والتفرق والهجرات أقاموا بـيـنـهـم روابط تنظيمية متينة لا مثيل لها ، ومن المتوقع أن يلعب ألبان كوسوفو دوراً هاماً على صيد الوحدة الألبانية فتاريخياً كوسوفو تمثل مركز القيادة الألبانية وكثير من الزعماء والـقـادة الألبان جاؤوا من كوسوفو وهم منذ سنة يعيشون انتفاضة قوية ضد الصرب ودخلوا معهم في مواجهات دموية قاسية .

إن مـعـطـيـات الأحــداث الـيـوم وتــاريخ هؤلاء القوم يولد نتيجة حتمية مؤداها أن القوم سيتحركون على كل صعيد لبدء خطوات عملية في سبيل إعادة دولتهم الموحدة .

المصادر:

1- المسلمون تحت ، السيطرة الشيوعية ، محمود شاكر ، المكتب الإسلامي .
2- جريدة الحياة 8 اغسطس 1991 م .
3-The World TodayJune 1985
4- دائرة المعارف البريطانية .
5- مجلة البيان عدد 5 .

ليبيا بين إرهابين

محمد بن حامد الأحمري

"إذا اختلف اللصان ظهر الـمـسـروق" وذلك مثل القذافي والدول الغربية ، فليس أسوأ من جنون القذافي وعدوانه على ممـتـلـكات الناس وحرياتهم إلا الغرب في تعامله مع العالم ، يزرعون الرعب والجور ، وينصرون الـيـهـود ، ويغضون الطرف عن جرائمهم ، ويجعلون شعباً كالشعب الليبي يضع يده على قلبه ويرقب الساعة التي تدك فيها طائراتهم طرابلس أو سواها كما حدث في عام 1986م .

إن الشعب الليبي لا شك هو الضحية ، وهو الذي صودرت حرياته وبددت ثروته ، وهجر كثير من أبنائه بحثاً عن الحرية لدينهم ، أو التماساً لفرص حياة مستقرة بعيداً عن المسرح الجنوني الذي يــديــره القذافي كل يوم منذ ثلاث وعشرين سنة ، وقد قال أحد المواطنين الليبيين يصف الحال الذي عاشته البلاد: "إن الآخرين لا يتصورون مدى معاناتنا ، إننا شــعــب يـعـيـش في عذاب يومي منظم من الصباح حتى المساء"، وهذه الكلمة المعبرة تكاد تختصر تاريخ القذافي ومفاجأته الدائمة، أصيب بعقدة العظمة والكبرياء، فسمى جمهوريته بخمسة أسماء، وغير التاريخ الهجري والميلادي، وغير أسماء الشهور ، ولما قل المال بيده جعل الشهر خمسة وأربعين يوماً، ورأى نفسه إماماً للمسلمين، وأيــضـاً فـيـلـسوفاً للنظرية العالمية الثالثة، وطبع ملايين النسخ من الكتاب الأخضر، وأنشأ معاهد لدراسته ، وجعله ثقافة للشعب الليبي ، وبدد الملايين من الدولارات في أفريقيا وغيرها حتى يدرس الناس أفكاره ، وكتب الكتاب على الصخور ، وأمر بدفنه في الصحارى ، حتى إذا جاءت قرون مـتـأخـــرة وجدت هذا الفكر الغريب محفوظاً لها . ولا يتسع المجال لشرح عقدة الكبر والعظمة عنده ، فهي مسألة إجماع لمن علم أحوال هذه البلاد ، ويكفي نموذجاً لذلك أنه يمنع نــشــر أسـمــاء الـوزراء وممثلي اللجان الشعبية ولاعبي كرة القدم حتى لا يشتهروا فينافسوه الشهرة .

وأمــر آخــر يـهـم المسلمين إدراكه في قصة القذافي مع الدول الغربية، أن الحصار الجوي المفروض الآن - وربما أي حصار قادم يراد فرضه على القذافي - لا يمس شخصه ، ولكنه الـضــرر البالغ يقع على الشعب ويزيد من آلام الناس وسوء حالهم ، ولن يشعر به القذافي وحاشيته ، واللص الثاني يدرك عمق هذه التصرفات فإذلال الشعوب وإقناعها "إقناع كل أفرادها" بأن الـغـرب هو الذي يجب أن يطاع وأن تخضع له القلوب والعقول من الشعوب قبل الحكام ، تلك رسالة مهمة يرجو المحاصرون إيصالها إلى أعماق كل محاصَر ، حتى لا يفكر في يوم من الأيام بمخالفة السادة هناك .
أما معمر القذافي فإنهم حين يثقون بالمعارضة فعلاً وأنها قادرة ومضمونة من أي توجه إسلامي فلربما حسموا من خلالها أمرهم مع القذافي .
والمسألة الإسلامية في قـضـيــة لـيـبـيا ذات بعد يجدر بالمسلمين وعيه وألا يلدغوا من نفس الحجر مرات عديدة ، لقد جعل الـقــذافي من نفسه محارباً للإسلام والمسلمين بلا هوادة ، وألقى عليهم الألقاب اللاذعة القذرة الــتـي لا يقولها إلا لسان فج كلسانه سماهم "الكلاب الضالة" وسماهم إخوان الشياطين ، لكـنـه لما حـوصر تذكر الإسلام وغازل العدو بقوله أنه وقف وما زال ضد الأصولية والأصوليين متملقاً للغربيين بهذه الكلمات التي تعني : أبقوني بالله عليكم وسأحارب الإسلام كما تريدون ، ثم هدد مرة أخرى وقال بأسلوب تملق طفولي غريب : إن الأصوليين والجماعات الأصولية عرضت علي أن أكون قائداً لها لأنه ينقصها وجود قيادة ، وقال إنه رفض هذا العرض . ثم كانت خـاتـمــة المطاف في صلاة عيد الفطر عندما خطب الناس في العيد وقال إنه سـيـعـلــن الخلافة الفاطمية في ليبيا ، نفسها طريقة واحــدة للـمـسـتـبــدين يفهمون الإسلام وسيلة للاستمرار والسخرية بالجماهير الساذجة ، يحارب الإسلام طوال حياته وبكل وسيلة حتى إذا خاف الغرق ذكر الله كاذباً لا مخلصاً له الدين ، ولكن واستمراءاً للعبة المداورة والعبث والنفاق للغرب مرات عديدة والكذب على الساذجين في عالمنا المسكين .
إن الغرب اليوم يلعب على أكثر من حبل بديل منها الجبهة ومنها ورثة السنوسية ومنها ضباط القذافي ، وشرط الوراثة البعد عن الإسلام الذي يسميه الغرب الأصولية . وليس للشعب أي حق في اختيار من يرث القذافي ، حقه فقط كالشعوب العربية الأخرى أن يرقب الجلاد من الداخل متى سيجلده ، أو يهدده أو يغتصب ماله أو يمارس عملاً جنونياً مريعاً ، وأن يرقب اللص الخارجي متى يرسل عليه صاروخاً قاتلاً أو مستبداً وريثاً ، أو أن يقطع عنه الطعام والشراب ويحرمه حق التنقل ويغلق عليه السبل .
لله ما أعجب هذه الشعوب المسلمة المسلوبة كل حق إلا حق توزيع التملقات لـكـل قـــادم ومستبد ، يصب المتسلطون العذاب على الرؤوس فما تحير جواباً ، وإذا خلت هذه الجموع إلى نفسها عاذت بالبكاء على حظها العاثر

وحزنها المقيم ، تتهامس وتتخافت بالإشارة إلى اللص الأول مرة، وإلى الثاني مرة، ولكن الهوان أوهى العظام، وقعد بالهمم وهلعت النفوس فما تطيق حراكاً ففي داخل البلدان همس وشكوى وزفرات خافتة ويـد مكبلة أو يتوهم صاحبها أنها مكبلة ، وفي الخارج السنة طويلة وكلام كثير .
وإذا لم يزُل هذا الظالم رغم ذله وانتهاء قدرته فمتى يزيل الناس عنهم الظلم ؟ وإن وقوف الشعب يتساءل : ماذا يريد القذافي من جهة ، وماذا تريد به الدول الغربية من جـهـة أخرى ، لموقف محزن .

الركن الاعلامي

أخبار قصيرة

- أعلن الرئيس الأذربجاني الجديد (يعقوب محمد) حملة تطهير في أوساط المسؤولين المشتبه بانتمائهم إلى الحزب الشيوعي ممن ما زالوا يشغلون مناصب حكومية على شتى الأصعدة ، وقال (حيدر أوغلو) أحد زعماء الجبهة الشعبية : إن هناك مؤامرة لجعل (قره باغ) فلسطين ثانية ، ولتشجيع أرمينيا لتصبح إسرائيل ثانية في المنطقة ، فالسيناريو نفسه يتكرر هنا .

الشرق الأوسط 7/ 9/ 1412

- اتهم مسؤول أذربجياني (مرتزقة من لبنان وسوريا) بممارسة التعذيب والمشاركة في مجازر دموية ضد الأذربجانيين . ويتهم الأذربجانيون موسكو بممالأة الأرمن في عملياتهم ضد القرى والمدن الأذربجانية في قره باغ وقيل إن القوات (السوفياتية سابقاً) والمرابطة في المنطقة تشارك إلى جانب الأرمن .

الشرق الوسط 4 مارس 1992

- ذكر تقرير من قازان عاصمة تتارستان أن الشعوب المسلمة في روسيا شكلت جبهة موحدة للعمل من أجل الحصول على استقلال ذاتي أكبر عن موسكو سياسياً وثقافياً ، ويضم الاتحاد الروسي حوالي 23 مليون مسلم ، وأدى تفكك الاتحاد السوفييتي السابق إلى بقائهم في روسيا في عدة من الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي في مناطق تمتد من شمال القوقاز إلى سيبيريا وجاء تشكيل هذه الجبهة بمبادرة من الجبهة الشعبية التتارية التي نظمت في وقت سابق المؤتمر الإسلامي العام للشعوب المسلمة ، في روسيا وقد حضر ذلك المؤتمر 400 مندوب ، وقالت مندوبة الجبهة : لقد نال الشعب الروسي حريته من الدكتاتورية الشيوعية وعليه أن يفهم بأننا نطالب بحريتنا.. وأن يسمح لنا بممارسة حقنا في تقرير مصيرنا .

1 مارس 1992
- في حديث لمستشارة (الرئيس الروسي يلتسن : ستارونو تيوفا) لصحيفة الحياة إبان عقد اللقاء العالمي الخاص (بإحياء الإسلام في بطرسبرج) قالت: لتفادي انهيار الدولة الاتحادية الروسية ينبغي على الحكومة إيجاد لغة مشتركة مع ممثلي الطوائف الإسلامية ، وأضافت بأن الإسلام يجمع بين الدين والديمقراطية . والمعروف بأن عـــدد المسلمين في هذه المدينة يناهز المائة ألف شخص عرفوا بتمسكهم بإسلامهم ، وقبل الثورة الـشـيـوعـية 1917 كان يصدر بها أربع صحف إسلامية .
الحياة 19 فبراير 1992
- في مقابلة مع جريدة واشنطن بوست دعا (نكتور ميكيلوف) وزير الطاقة النووية الروسي إلى التعاون مع أمريكا لمواجهه ما أسماه بالخطر النووي الإسلامي وقال : بعد انهيار الاتحاد السوفييتي سيتغير العالم الإسلامي كثيراً ، وسيحاول العالم الإسلامي بالذات توحيد قواته وبناء قدرات عسكرية نووية .
الأسبوع 25/2/1992
- تصدر الآن في موسكو (نشرة الأنباء الإسلامية) باللغة الروسية وتوزع على كافة المناطق الإسلامية في روسيا وجمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق ، وفي لقاء لصحيفة الشرق القطرية مع رئيس تحريرها : (سعيد بله طالب) ذكر أن فكرة إصدار هذه المجلة قد صاحبت مناخ النهضة الإسلامية وحرية العقيدة التي كفلتها (البيرسترويكا) لكافة الأديان على أراضي الاتحاد السوفييتي السابق وقال : إننا نبغي نشر المعرفة الحقة والصحيحة عن الإسلام وتعاليمه بين المسلمين الروس الذين يقدر عددهم 12 مليون نسمة من إجمالي السكان ومن ثم إبراز القيم الإسلامية السمحة أمام أصحاب الديانات الأخرى وخاصة المسيحية التي تشكل أكثرية في الشعب الروسي مع توعية المسلمين ومعالجة التصورات الخاطئة لديهم ، واسم الصحيفة إسلامكى فينسينك (الأنباء الإسلامية) .
- أعلن صـابـر مـــراد رئيس جمهورية تركمانستان أن خبرة 70 عاماً في بناء الشيوعية أظهرت أنه من المستحيل جعل كافة الناس أغنياء بدرجة متساوية في الوقت الذي تحولوا كلهم إلى فقراء وعلل حل الأحـزاب الشيوعية في تركمانستان والدول المستقلة بخيبة الأمل من الأيديولوجيا الماركـسـيـة ولا بد من الاعتراف بأن الشيوعية هي أكبر خرافات القرن العشرين .
الحياة 23 / 2 / 1992

ربما تكون الحرب الآتية مع العدو الصهيوني حول المياه وقد صدرت عدة دراسات علمية حول الموضوع منها :

- الأمن المائي العربي / تأليف حسن العبد الله

من منشورات مركــز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق . حيث يتناول بالدراسة والتحليل مشكلة الـمياه في منطقة الشرق الأوسط التي باتت تشكل عنصراً من أهم العناصر في الصراع العربي الإسـرائـيـلي الـذي اتخذ سابقاً شكل الصراع المسلح ويتخذ حالياً شكل الصراع السياسي . والمؤلف يحاول جـمـع عـنـاصر المشكلة ومقوماتها وتتبع تطوراتها مع التركيز على المحاور الرئيسية وما يتهدد الثروة المائية العربية من أخطار ، وأشار الكاتب بأن أهمية المياه ستفوق أهمية النفط في المستقبل مع أن الدول العربية لم تعط هذا الجانب الأهمية اللازمة إذ اقتصرت اهتماماتها على الجوانب السياسية والأمنية . ووضح المؤلف أهمية مشكلة الأمن المائي العربي وأنه مسألة خطيرة وحساسة ويجب معالجتها بجدية وحذر في آن واحد لارتباطها بالأمن الغذائي ، وقد حذر من الأطماع اليهودية التي تتحكم بمياه الضفة الغربية وغزة والجولان وأنه لم يفلت من نفوذها سوى نهري الليطاني واليرموك وأي محاولة في ذينك النهرين ستكون وبالاً على الأمن والسلام في المنطقة .

الشرق الأوسط 48537

- الحصار: غباء وأخطاء السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط تأليف: جون كولي :

الكتاب يحلل وقائع مداخلات أمريكا في الشرق الأوسط ، ويغطي الأحداث التي وقعت خلال السنوات الحرجة (1979-1991) أي منذ سقوط الشاه وحتى اندلاع حرب الخليج الأخيرة ، يوضح أن الدول الغربية وفي مقدمتها أمريكا وقعت في أخطاء فادحة بالمنشة بسبب ما سماه بسوء الفهم الأمريكي حيال المواقف الرسمية من الصراعات العرقية والدينية والسياسية ، ويتحدث باستفاضة عن مسألة احتجاز الرهائن الأمريكيين في طهران وما رافقها من التباسات وما نجم عنها من انعكاسات على العلاقات الأمريكية الإيرانية ، ثم التورط العسكري في لبنان والضربات الموجعة التي تلقتها أمريكا من تدمير مركز مشاة البحرية الأمريكي ، ويواصل استعراض الأحداث الأساسية التي وقعت في المنطقة وصولاً إلى قيام حرب الخليج . والكاتب لا يخفي تعاطفه مع السياسة الأمريكية في محطاتها المختلفة في المنطقة لكنه يعتبر أن أخطاء كثيرة وقعت أعاقت هذه السياسية وجعلتها محل الشك حتى من قبل أصدقائها !! وأدى بها إلى كره متنام من قبل أعدائها.

الحياة 1 مارس 1992

الركن الاعلامي

إحصاء

- نشرت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية تقريراً يشير إلى أن الأمية لم تعد محصورة في العالم الثالث بل تنتشر أيضاً في عــدد مــن الـدول المتقدمة في أوربا ، وقال التقرير بأن في أوربا ملايين الأميين الذين يشكلون مصدر تـهـديــد للــدور الاقتصادي لبلدانهم ، وينتقد التقرير الدول الأوربية لعدم توفيرها برامج تدريبية كافية للكبار ولمساعدة العمال في تحسن مهاراتهم ، ويستشهد بأمثلة خطيرة تشير إلى حجم المشكلة وخطورتها..
ففي مصنع للورق في السويد هناك 700 عامل نصفهم بحـاجــة إلـى تدريب جيد لا يعرف مائة منهم القراءة والكتابة . وفي ألمانيا يعاني 3 ملايين شخص من الأمية الفعلية وفي فرنسا فإن واحد من كل خمسة أشخاص من مجموع 500ألف شخص تم اسـتـدعـائهم بين عامي 1990-1991 للخدمة العسكرية لم يقدر على قراءة نص من 700 كلمة ، وفي وقت قريب كانت دول أوربية كثيرة منها السويد وفرنسا تزعم بأن المهاجرين القادمين إلـيهـا وحدهم هم الأميون ، وحاولت بريطانيا مكافحة الأمية بتنفيذ برامج خاصة لتعليم الكـبار القراءة والكتابة ، إلا إنها انهارت عندما توقفت الحكومة عن تمويلها .

الشرق الأوسط 1 مارس 1992

- خصصت السعودية 3 مليارات ريال سعودي للإنفاق على البحث والمحافظة على الآثار الموجودة في مناطق متعددة ويبلغ عدد المتاحف السعودية 9 متاحف وتكلفتها 120 مليون ريال سعودي .
- كشفت (اسكوتلانديارد) في تقريرها السنوي ارتفاعاً ملحوظاً في معدلات الجريمة في بريطانيا خلال عام 1991م وقد ارتفعت معدلات الجريمة إلى أكثر من 925000 جريمة خلال عام 91 أي بنسبة 10.9 % وتوقعت أن معدلات الجريمة ستستمر في الارتفاع طوال العام ، وبانتهاء عام 1992 ستتخطى معدلات الجريمة رقم المليون . وقد بدأت دوائر الشرطة وضع سياسات حازمة لمواجهة ارتفاع معدلات الجريمة كما بدأت نقابة ضباط الشرطة حملة واسعة ضد الإفراج عن المجرمين بكفالة مالية .
- في دراسة علمية نال عليها الباحث محمد شعبان درجة الدكتوراه من كلية الإعلام بجامعة القاهرة عن موضوع المخططات اليهودية للتحكم في وسائل الإعلام لتشويه صورة المسلمين والإسلام ذكر الباحث وجود35 مركزاً إعلامياً يهودياً في عدد من دول العالم وبخاصة في أمريكا وأوربا لإعداد السياسات الإعلامية وتشكيل الرسائل الإعلامية لكافة وسائل إعلامهم في تلك الدول ويقوم عدد كبير من خبراء الإعلام ، وتخصص لهذه المراكز ميزانيات تصل إلى مليار و300 مليون دولار سنوياً . وتؤكد الدراسة أن هناك ما يقارب من 400 محطة تلفزيون أوربية وأمريكية مملوكة لمراكز وجهات وشركات يهودية و

1150 محطة إذاعية و 2880 جريدة ومجلة وأن هناك ما يقرب490 دار نشر تصدر حوالي 3 آلاف كتاباً سنوياً بجميع اللغات وأن 87% من الرسائل الإعلامية وسائل الإعلام المملوكة لهذه الجهات موجهة للإسلام والمسلمين مستخدمة الدعاية غير المباشرة ضدهم مثل دعوى أن الإسلام ضد التقدم ويدعو للعنف تتردد في 59% من الرسائل الإعلامية تلك وفي مجال الإذاعة تبث يومياً 1136 ساعة من المواد الإذاعية اليهودية الموجهة تتضمن مواد إعلامية مشوهة عن الإسلام والمسلمين وهي موجهة إلى 111 دولة في مختلف أنحاء العالم.

الشرق عدد 1456

- أفادت إحصائية ضمن ندوة علمية بمراكش أن 295 حالة إيدز قد رصدت في بلدان المغرب العربي منها 98 حالة بالمغرب و 92 حالة بالجزائر و105 حالات في تونس .

البيان 13 /8/ 1412

أسرار الختان تتجلى في الطب الحديث

د. حسان شمسي باشا *

لم يكن يخطر ببالي في يوم مـن الأيـام أن أكـتـب عن الختان.. ولكن الدافع إلى كتابة هـذا المقال ما نشرته حديثاً (مارس ومايو 1990) أشهر المجلات الطبية الأمريكية عن الخـتان. فقد يعجب المرء حين يعلم أن 61%-ه8% من أطفال أمريكا يُختنون بعد الولادة.. والـيـهود في أمريكا قلائل.. وكذلك المسلمون.. فنصارى أمريكا إذن يختتنون..

لماذا هذا ؟ ونحن نعلم أن النصارى لا يختتنون ؟.. ونعلم أيضاً أن أوربـا المسيحية كـانـت تعادي الختان..

وحـيـن قرأت أن أشهر أطباء الأطفال في أمريكا ينادون بضرورة إجراء الختان روتينياً عـنـد كل مولود ، قلت في نفسي : الحمد لله الذي أظهر لهم فوائد خصلة من خصال الـفـطـرة، أخبرنا عنها الرسول -صلى الله عليه وسلم- . وبقراءة ما نشر في موضوع الختان في المجلات الطبية الحديثة فكان هناك ما يربو على مئة مقال، نشـرت جمـيـعـهـا فـي السنوات القليلة الماضية في أشهر المجلات الطبية الأمريكية والعالمية .

الختان في الأديان السابقة

جـاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :»اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين بالقَدّوم«. وقال ابن القيم : "وقد روي أن إبراهيم كان أول من اختتن، واستمر الختان بعده في الرسل

وأتباعهم حتى في المسيح فإنه اختتن،والنصارى تقــر بذلك ولا تجحده ، كما تقر بأنه حرم الخنزير" . واهتم بالختان اليهود على وجــه خـاص ، فقد جاء في سفر التكوين : "هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم ، وبين نسلك من بعدك ، يختن كل ذكر" . ويبدو أن الختان مشروع في النصرانية إلا أن النصارى قد حرفوا نصوص كتابهم وأعرضوا عن تعاليمه ، فقد ورد ذكر الختان في إنجيل برنابا : "أجاب يسوع : الحق أقول لكم إن الكلب أفضل من رجل غير مختون" .

الختان في الإسلام

وردت فـي الـسـنـة الـنـبـويـة عــدة أحاديث عن الختان ، فقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : »الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط . وروى الإمام أحمد حديث شــداد بن أوس مرفوعاً : "الختان سنة للرجال مكرمة للنساء" .

ماذا يقول علماء طب الأطفال في أمريكا عن الختان ؟

كتب البروفـسـور Wisewell - وهو رئيس قسم أمراض الوليدين في المستشفى العسكري بواشنطن - مـقـالاً في مجلة American Family Physician في عدد آذار (مارس) 1990 جاء فيه :

"لـقــد كـنـت في عام 1975 من أشد أعداء الختان ، وقد شاركت في الجهود التي بذلت حينئذ للإقلال من نسبة الختان . إلا أنه في بداية الثمانينات أظهرت الدراسات العلمية ازدياداً في نسبة التهاب المجاري البولية عند الأطفال غير المختونين . ومع ذلك فلم أكن أقترح آنئذٍ جعل الـخـتـان روتينياً . ولكن.. وبعد تمحيص دقيق وإجراء دراسة موضوعية للأبحاث والدراسات التي نشرت في المجلات الطبية عند الختان.. فقد وصلت إلى نتيجة مخالفة.. وأصبحت من أنصار جعل الختان أمراً روتينياً يجري عند كل طفل .

ولـيـس هــذا فحـسـب بل إن التقرير الذي أصدرته عام 1989 الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال قد جاء مخالفاً للتقرير الذي صدر عام 1970 ، وتراجع عن عدائه للختان . وأكد حديثاً الفوائد الطبية العظيمة للختان عند الأطفال.." .

أجـل لـقـد تـغـيـرت مـواقــف وآراء.. وتراجع الذين كانوا من أشد الناس عداوة للختان.. وأصبحوا من أكثر الناس حماساً له .

عادت الفطرة البشرية لتثبت نفسها من جديد إنها الفطرة التي لا تتغير على مر العصور: ((فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)) . وختم البروفسور مقاله الشيق بالقول:

"وفي يوم 8 آذار 1988 صوّت أعضاء الجمعية الطبية في كاليفورنيا بالإجماع على أن ختان الـولـيـد وسـيـلة صحية فعالة . لقد تراجعت عن عدائي الطويل للختان ، وصفقت مرحباً بقرار جمعية الأطـباء في كاليفورنيا" .

الختان ونظافة الأعضاء الجنسية

كتب الدكتور "شوين" في مقالته الرئيسية في مجلة New England Journal of Medicine عام 1990 يقول :

"لا شك أن خـــتـــان الـــولـيد يسهل نظافة الأعضاء الجنسية على مدى العمر وفي مختلف الظروف البيئية . فالـخـــتـــان يمنع تجمع الجراثيم الممرضة تحت القلفة في فترة الطفولة .

ويـقـول الدكتور "شـويـــن" - وهـــو من أشهر أطباء الأطفال في العالم - مؤكداً أهمية نظافة المناطق الجنسية في الوقاية من سرطان القضيب : "إن الحفاظ على نظافة جيدة في المنطقة الـجـنـسـيـة أمـــر عسير ، ليس فقط في المناطق المتخلفة من العالم بل حتى في دولة كبرى ومتحضرة كالولايـــات المتحدة التي تضم العديد من الأعراق مع اختلاف شائع في العادات والتقاليد الاجتماعية ، وحتى في بلد متحضر أصغر ، غالبية سكانه من عرق واحد ، فإن الأدلة العلمية تشير إلى أن العناية بنظافة الأعضاء التناسلية ما تزال سيئة . ففي دراســـة أجريت على أطفال المدارس البريطانيين غير المختونين ، وجد أن العناية بنظافة الأعضاء الجنسية سيئة عند 70% من هؤلاء الأطفال.

وفي دراسة أخرى من الدانمارك ، يتبين وجود التصاقات في القلفة عند 63% من الأطفال غير المختونين في سن السادسة من العمر" .

هذا ما يؤكده رئيس فريق علمي كبير في أمريكا نهض لبحث أمر الختان . لقد أتى الإسلام بدواء لهذا المشكلة ، إنه الختان الذي أرشدنا إليه رسول الإنسانية -صلى الله عليه وسلم. قال تعالى : ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)) [الروم:30] .

الختان والتهاب المجاري البولية

أكـــد عـــدد من الـــدراســـات الـعـلمية الحديثة التي نشرت عام 1989 أن احتمال حدوث التهاب المجـــاري الـبـولـيـة عند الأطفال غير المختونين يبلغ 39 ضعف ما هو عليه عند الـمـخـتـونـيـــن . ففي دراسة أجريت على أكثر من 400 ألف طفل وطفلة وجد البروفسور "ويــزويـــــل" ارتـفـاع نسبة التهاب المجاري البولية عند الأطفال الذكور نتيجة لحدوث الالتهاب عند الأطفال غير المختونين .

وقدر الباحـثـــون أنه لو لم يجر الختان في الولايات المتحدة ، فستكون هناك عشرون ألف حالة أخرى من الـتـهاب الحويضة والكلية . وتقول مجلة اللانست البريطانية الشهيرة في مقال نشر عام 1989 : "إن ختان الأطفال في الفترة

الأولى من العمر يمكن أن يخفض نسبة التهاب المجاري البولية عند الأطفال بنسبة 90%" .

الختان وسرطان القضيب

نشرت المجلة الطبية البريطانية B.M.J عام 1987 مقالاً عن هذا المرض جاء فيه : "إن سرطان القضيب نادر جداً عند اليهود ، وفي البلدان الإسلامية حيث يجري الختان أثناء فترة الطفولة" .
وســرطـــــان القضيب مشكلة هامة في عدد من بلدان العالم فهو يشكل 12 - 22% من كل سرطانات الرجل في الصين وأوغندا وبوتوريكو .
ونشرت مجلة المعهد الوطني للـسـرطــان دراسة أكدت فيها أن سرطان القضيب ينتقل عبر الاتـصـال الـجـنـسـي، وأشــــارت إلى أن الاتصال الجنسي بالبغايا يؤدي إلى حدوث هذا السرطان .
ونشرت المجلة الأمريكية لأمراض الأطفال Am.j.DIS.Child حديثاً مقالاً جاء فيه: "إن الــرجـــــل غـير المختون يعتبر معرضاً للإصابة بسرطان القضيب ، في حين يمكن منع حـــدوثه إذا ما اتبع مبدأ الختان عند الوليدين" . نعم.. هذا ما يقرره علماء الطب اليوم ، وهذا ما قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرناً!

الختان والأمراض الجنسية

جــــاء في مقابلة مجلة New England Journal of Medicine المنشور عام 1990 "إن الختان قد ساعد على مـنع حـــــدوث التهابات الحشفة والوقاية من حدوث الأمراض الجنسية عند الجنود الأمريكان إبان الحرب العالمية الثانية وخلال حرب كوريا وفيتنام" .
وأكدت دراسة حديثة من اسـتـرالـيا وجود ازدياد واضح في حدوث أربعة أمراض جنسية عـنـد غــير المـخـتـونـيــن ، وهـي الهربس التناسلي Genital Herpes وداء المبيضات Candidiasis ، والسيلان Gonorrhea، والزهري Syphilis.

الختان ومرض الإيدز

"الـخــتــان يـقــي من مرض الأيدز" ذاك هو موضوع مقال نشر حديثاً (1989م) في مجلة Science الأمـريكية . فقد أورد المقال ثلاثة دراسات علمية أجريت في أمريكا وأفريقيا . وأكدت هذه الدراسات انخفاض نسبة الإصابة بمرض الإيدز عند غير المختونين" .
ألــيـــس هـــذا بالأمر العجيب !! فحتى أولئك الذين يجرؤون على معصية الله بالشذوذ الجنسي يجدون خصلة من خصال الفطرة يمكن أن تدفع عنهم غائلة هذا المرض الخبيث.
ولـكـن لا يـظـنــنَّ أحد أنه إن كان مختوناً فهو في مأمن من داء الإيدز.. فهو يحدث عند المختونين وغير المختونين ، وإن كانت نسبة حدوثه أقل عند المختونين .

وهكذا تثبت الأبحاث العلمية أن ما جاء به المصطفى هو الحق ، وأنه لا تبديل لفطرة الله التي فطر الناس عليها .

الهوامش :

* للمؤلف كتاب عن هذا الموضوع بعنوان "أسرار الختان تتجلى في الطب الحديث" ، إصدار مكتبة السوادي بجدة

منتدى القراء

اللكنوي وابن تيمية

لقد قرأت ما كتب الأخ مـحـمـد عـبـد الله آل شـاكـر في العدد 49 من عرض لكتاب "إمـام الكلام" وقد عجبت لما كاله الكاتب للـمؤلف وكتابه من المديح مع عدم التنبيه على هفواته الشنيعة في كتابه هذا وكتبه الأخرى التي تبين شخصية المؤلف وعلمه وعقله .

ولتوضيح ما أقصد أقول إن للمؤلف - عفا الله عنه ورحـمـه - حاشـيـة على كتابه "إمــام الكلام" - وهذه ذكرها الكاتب - تهجم بها المؤلف اللكنوي على أئمة أعــلام بكلام يـبـعـد جداً أن يكون منصفاً لمن لا يخالفه في الرأي - كما ذكر الكاتب .

انـظـر إلـى هـجـومـه الظالم على الأئمة : ابن تيمية وابن القيم والشوكاني حيث يقول في حاشيته غيث الغمام ص 65 : ".. لا يقول بكون حديث أبي بكرة وأمثاله مجملاً متشابهاً إلا من هو خفيف العقل كابن القيم وأضرابه وابن تيمية وأشياعه والشوكاني وأنصاره.."!! ثم ينبز هؤلاء الثلاثـة بأنـهـم : "خفيفي الأحلام" ثم يذكر - غير المقلد هذا - بعد أسطر كلاماً عن بعض العلماء يذكرون فـيـه ذلـك عـن هؤلاء الأئمة!! ثم ينقل كلاماً في ذم شيخ الإسلام ابن تيمية (انظر ص 74-75) وقصص ونقولات متهافتة ينقض آخرها أولها ويترك "غير المتعصب هذا!" كتب الشيخ وعلمه وعقله وتحقيقه مكتفياً بما قاله من سبقه "فيقلدهم" في ذلك : ويقول عن شيخ الإسلام : إن علمه أكبر من عقله !!.. سبحان الله! ابن تيمية صاحب "درء تعارض العقل والنقل" وصاحب "الاستقامة" و "الجواب الصحيح" وسالك "منهاج السنة" وغيرها من الكتب يقول عنه هذا - عفا الله عنه - إن علمه أكـبـر مــن عـقــلـــه، وإنه خفيف العقل؛ ولا أظن كل تآليفه تبلغ شيئاً أمام مصنف واحد لابن تيمية ؟!

والحق أن من يحكم - بعلم - بين اللكنوي وخصومه هؤلاء لا يجد بداً من أن يقول : إن كان هناك أحد يستحق أن يقال فيه أن علمه أكبر من عقله فهو اللكنوي نفسه - عفا الله عنه . ومع ما في كتبه من الفوائد إلا أنها لو جمعت كلها لم تكن شيئاً عند مؤلفات شيخ الإسلام التي نصر الله بها السنة قديماً

وحديثاً ، وكانت كصاحبها شجى في حلوق أهل البدعة والتعصب والتقليد الأعمى .
كتبت هذا - والله يعلم - لا أقصد الغض من الشيخ اللكنوي ، فأنا ممن قرأ بعض مؤلفاته، واستفاد منها، كالأجوبة الفاضلة، والرفع والتكميل، وإقامة الحجة، وإمام الكلام، ولكن إحقاقاً للحق بالدفاع عن الأئمة الأعلام ، ولتبيين بعض الأمور عن شخصيته - رحمه الله - حتى لا ينخدع بكلامه أحد .
وفي الختام اسأل الله الكريم أن يغفر للشيخ اللكنوي خطأه، ويثيبه على اجتهاده، وجميع علماء المسلمين ، وأن يحشرنا وإياهم في زمرة سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم-.. والله أعلم .

راشد آل عبد الكريم

بريد القراء

* الأخ عبد الصمد محمد قارى

نرحب بمشاركتك، فكرة قصيدتك جيدة، ولكن تحتاج إلى إقامة الوزن، حبذا لو عرضت إنتاجك الشعري على خبير بالشعر، وسوف ننشر ما يكون صالحاً بإذن الله . وشكراً لكم على ثقتكم .

* الأخ أبو عبد الله المطرفي

قصيدتك جيدة ، وسوف ننشرها في المستقبل ، لسبب تراكم كثير من القصائد التي وصلت قبلها ، وشكراً لك على ثقتك بنا ، ونرجو مواصالة المشاركة .

* الأخ طه جبر

أرسل رسالة أشاد فيها بالمجلة وببعض المقالات فيها كمقالات الدكتور أحمد إبراهيم خضر عن علماء الاجتماع والعداء للصحوة الإسلامية ، ويشكو من عدم وصول المجلة لمدينته ويعد بالمشاركة .
ونحن نرحب بالأخ طه جبر ومشاركته ، ونسأل الله أن نكون عند حسن ظنه وظنون القراء الكرام ونرجو أن يتهيأ للمجلة أن تصل إلى كل من يحب قراءتها .

* الأخ ظافر الدوسري

أرسل لنا أنه أحد المعجبين والمتابعين لقراءة المجلة شهرياً لما تتضمنه من مقالات ومواعظ وشعر ممتاز ونقل لأخبار المسلمين ، ويطلب منا أن نكتب عن أحوال المسلمين في يوغسلافيا وسيريلانكا .
البيان : نشكرك على اهتمامك ، وقد كتبنا شيئاً عن يوغسلافيا ، ونرجو أن يتيسر لنا المزيد من ذلك ومن الكتابة عن أحوال المسلمين في سيريلانكا .

* الأخت أم أسماء

نشكر لكم ملاحظتك القيمة على القصيدة المنشورة في العدد 48 ومما جعلنا نمرر ذلك أننا فهمنا قصد الشاعر أنه يعني الرجال أصحاب الموقف .

*** الأخ محمد بن ظافر الشهري :**

نشكركم على رسالتكم والنصح الوارد فيها ، ونحن نرحب بكل اقتراح ونصح يأتي من القراء ، ونسأل الله العون على تطبيق النافع من ذلك ، نرجو منكم دوام المشاركة .

هذا ونعتذر عن الأخطاء المطبعية التي وردت في قصيدة "من كابل إلى القدس" في العدد (48) ، نعيد الأبيات التي وردت فيها تلك الأخطاء مصححة وهي :

وقـيـل لـهـا فَلَمْ تـسمعِ لقولٍ يُـحـذِّرها ولم تَقْبل عتابا
لَـئِـنْ سُـمـنا جَحَافِلَكُم عذاباً فإن إلَـهـنَا أقـسـى عِـقابا
هي الإكسير إن دارت رَحَاها يعودُ كُهُولُنا فيها شـبـابا
تُـسـيـل دِمـاءهُ وَعــداً عـلـينا ونجعلُها لأفْرُسِنا خِضَابا
أتـى دُبـاً يُـزَمـجـرُ فانـبرينا لهُ حـتـى طَـرَدْنـاهُ ذُبَابا
فـإن سُـيُـوفَـنَـا ظـمـأى جياعٌ تُحبُّ الهامَ منك والرقابا

*** الإخوة الذين يبعثون إلينا بإنتاجهم الشعري لنشره :**

هناك كمية كبيرة من الشعر تردنا لنشرها في **البيان** ونحن ننشر ما نراه مناسباً وصالحاً . وكثير مما يرد لا يصلح إما لأنه شعر غير مستقيم المعنى وإن كان جيد الموضوع ؛ وإما أن موضوعه مبتذل ومطروق ؛ أو لأنه شعر مناسبات فات أوانها لا جديد فيه .

وسوف ننشر تباعاً قصيدة أو قصيدتين لا أكثر من أفضل ما يصلنا من القراء الكرام . ونطلب من الشعراء أن لا يتعجلوا كتابة الشعر ، وأن لا يخوضوا هذا المعترك إلا بعد الاطمئنان إلى وجود الموهبة ، والدراسة العميقة الواسعة للشعر الجيد وشروط جودته ، وكذلك دراسة النقد الأدبي الذي هو بمكانة الحارس لهذا المجال .

*** من الأخت منيرة محمد جاءتنا هذه الرسالة :**

في كل يوم أسمع أخبار الجرائم ، وأخبار الأعراض التي تنتهك والأموال التي تسرق ، أتساءل : هل جميع ما سمعته قد حدث فعلاً ؟ هل صحيح أن الفساد طم وعمّ ، وإلى متى يبقى جرحنا ينزف ؟ أسئلة كثيرة تدعوني لأقول : أعلى أرض الإسلام تفعل هذه المنكرات ؟! بماذا نداوي جراح المجروحين ؟ ماذا سنقول لمن أجهد نفسه في تربية ابنه وكان يحلم له بمستقبل سعيد ثم يفتش عنه فيجده قد ضاع في عالم آخر ماذا سنقول لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- الذى قال لنا: »تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنتي« إني أوجه كلماتي لأبناء الإسلام ودعاة الإسلام ليقوموا بواجبهم .

مراجعات في عالم الكتب

الكتاب والسنة
يجب أن يكونا مصدر القوانين

بقلم العلامة : أحمد محمد شاكر
تقديم : أحمد بن صالح السيف

في وقت تأزمت فيه التبعية في البلاد الإسلامية لقوانين البشر الطاغوتية ((أَلَمْ تَرَ إلَى الَذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إلَـيْــكَ ومَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إلَى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ويُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً)) [النساء:60] ، وما زالت الأمة تجر ذيول الهزيمة والتخلف فـي جـمـيـع مجالاته بما جره القائمون على شؤونها ، على إثر تخليها وإعراضها عن أمر ربها وابتغائها حكم الجاهلية : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّهِ والرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)) [النساء:59] .
حري بنا أن نقدم رسالة في أصلها محاضرة ومشروع قدمه العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر - القاضي الشرعي وعضو المحكمة الشرعية العليا "سابقاً" في مصر 1309-1377 هـ - رحمه الله رحمة واسعة ، بعنوان "الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين" يقدمها كـلـمة حق في وجه ذلك الادعاء الموبوء الذي تولى كبره آنذاك - الوزير عبد العزيز فـهـمـي - حينما دعا إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية وأتبعه بادعائه المشين ألا وهو "أن الـتـشـريع الإسلامي لا يصلح لهذا الزمان" وذلك في حقبة مرة من الزمن والتي ما زال أولئك الأذناب ينبشون هذه الادعاءات بين الفينة والأخرى بصورة أكثر نفاقية ودهاء .
سأقـف وإياك - أخي القارئ - مع الشيخ في أبعاد طرحه لقضيته : وجوب جعل الكتاب والسنة مصدراً للقوانين، حيث بدأه في تحميل مصر عبء العمل إلى الرجوع والأخذ بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- "نعم ومصر بلد إسلامي وهي تقعد الآن بين الأمم مقعد الصدارة في ممالك الإسلام وإلى ما تصنع ينظر المسلمون في أنحاء الأرض وبها يقـتـدون فيهتدون "ويضلون" في حـيـن أن مصر واقعاً وللأسف قد قادت بقوانينها الوضعية البشرية جل البلاد الإسلامية - العربية - ممن أخذها جملة أو تفصيلاً .
والشيخ يتعوذ بالله من أن تضل مصر بعد أن ملكت أمرها واستقلت شؤونها فـتحمل إثــم العالم الإسلامي كله ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : »من سن في الإســلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء«.

والله شرع هذه الشريعة الكاملة للناس كافة في كل زمان ومكان بعموم بعثة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وبختم الرسالة والنبوة به وأنها ليست خاصة بأمة دون أمة وأن فيها ما هو ثابت لا يقبل التغيير وما هو جزئي بحسب اختلاف الدهور والعصور .
ثم يتناول رحمه الله آثار القوانين الوضعية - الأجنبية - في نفوس الأمة ، فقد صـبـغـتها بصبغة غير إسلامية : "وإليها يرجع أكثر ما نشكو من علل في أخلاقنا ، في معاملاتنا ، في ديــنـنــا ، فـي ثقافتنا ، في رجولتنا ، إلى غير ذلك من أمور التربية والتعليم وقضايا المرأة والإعلام" .
وبين أن هذه الــقــوانــيـن قد أجرمت في حق الأمة والدين أكبر الجرائم فبثت في كثير من الناس روح الإلحاد والـتـمـرد على الدين أو حمتها وساعدت على بقائها ونمائها . مؤكداً ذلك ببعض الأمثلة من الـقـوانـين ومدى مخالفتهما الصريحة للكتاب السنة كجرائم القـتل والزنا وغيره ..
ثـم يـطـــرح الـشـيـخ - رحمه الله - خطة عملية لرجال القانون في مصر وممن يسير على خطاها للعمل مع الـعـلـمــاء بحكم أنهم أصحاب السلطة في البلد وبيدهم الأمر والنهي مع تركهم للتعصب لتشريع الإفرنج وآرائهم جانباً، وموجز الخطة العملية كما يرى الشيخ: أن تختار لجنة قوية من أســاطـين رجال القانون كلهم ثم تستنبط من الفروع ما تراه صواباً مناسباً لحال الناس وظـروفـهـم مما يدخل تحت مواعد الكتاب والسنة ولا يصادم نصاً ولا يخالف شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة" .
ثم يعرض الشيخ نقاشاً مع صاحب الادعاء المشين :
"فـإنــي أرجــو أن أظـهـر الـناس على مبلغ علم الباشا فيما هو أيسر من ذلك العلم، وهذا الـرجــل الــذي بـلـغ علمه بالقرآن وباللغة وبعلوم الإسلام ما ترى ، والذي أشرب في قلبه قـوانــيــن الإفرنج حتى لا يسع غيرها لم يكد يمسك القلم حتى خلق فرصة لا أدري كيف خـلـقــها لإبراز ما يحمل قلبه من ضغن على التشريع الإسلامي ولتقديس قوانين الإفرنج والإشادة بها والذوذ عنها خشية أن يفوز "القائمون بالدعوة إلى تشريع مقتبس من الكتاب والسنة موافق لروح الإسلام وعقائد المسلمين" .
ليتصدى بعدها لادعاءات فهمي لنقضها والتحذير منها بالأدلة قوله : إن الدين لله وأما سياسة الإنسان فللإنسان : "وأن الحاكم في الإسلام عليه أن يسوس الناس على ما يحقق مصالحهم مؤسساً عمله على الحق والعدل على أن لا يمس العقائد وفرائض العبادات" ومعنى هذا الكلام الخروج بالإسلام عن حقيقته وجعله دين عبادة فقط ، وإنكار ما في القرآن والسنة الصحيحة من الأحكام في كل شؤون الإنسان .

وأعجب ما في الأمر أن يسأل معالي الباشا السيد محب الدين الخطيب هل يرى في تلك النظم والقوانين ما يخالف شيئاً من عقائد المسلمين أو يعطل فرضاً من فرائض الدين ؟
ثم يجيبه الشيخ جواباً حاسماً :
"نعم إن القوانين الإفرنجية والنظم الأوربية فيها كثير مما يخالف عقائد المسلمين وفيها تعطيل كثير من فروض الدين .
فـيـهــا إبــاحة الخمور علناً والترخيص رسمياً ببيعها بتصريح كتابي يوقع عليه وزير من وزراء الدولـــة أو مــوظــف كـبـيـر مـن موظفيها ، بل إن فريقاً من رجال الدولة الكبار لا يخجلون أن تدار عليهم الخمور في حـــفــلات رسمية فتنفق عليها أموال الدولة بحجة أن هــذا إكــرام لمدعويهم مـــن الأجانب أو بما شئت من حجج تجردت من الحياء حتى إن الدهماء ومن يسمونهم بسمة "الــطــبــقـــة الراقية" اقتدوا بسادتهم وكبرائهم واستغلوا هذه القوانين فيما يذهب عقولهم ويذيب أموالهم فانحطوا إلى الدرك الأسفل .
وفيها إباحة الميسر بكل أنواعه ، وفيها إباحة الفجور بطرق عجيبة من حماية الفجار من الرجال والنساء.
واختلاط الرجال والنساء ، ثم المـصـايــف وما فيها من البلاء.. وفيها إبطال الحدود التي نزل فيها القرآن كلها وغير ذلك...
ثم يحقق الشيخ بقوله : لسنا ننعى على هـــذه القوانين كل جزئية فيها بالضرورة نفسها ففيها فروع في مسائل مفصلة تدخل تحت القواعد العامة في الكتاب والسنة ، ولكننا ننكر المصدر الذي أخذت منه وهو مصدر لا يجوز لمسلم أن يجعله إمامه في التشريع ، وقد أمر أن يتحاكم إلى الله ورسوله ، فالكتاب والسنة وحـدهـــمــــا هما الإمام نستنبط منهما وفي حدودهما ما يوافق كل عصر وكل مكان مسترشدين بالعقل وقواعد العدل ، ولكننا نسخط على الروح الذي يملي هذه القوانين ويوحي بها ، روح الإلحاد والتمرد على الإسلام في كثير من المسائل الخطيرة والقواعد الأساسية ، فلا يبالي واضعوها أن يخرجوا على القرآن ، وعلى البديهي من قواعد الإسلام ، وأن يصبغوها صبغة أوربية مسيحية أو وثنية إذا ما أرضوا عنهم أعداءهم ونالوا ثناءهم ولم يخرجوا على مبادئ التشريع الحديث وهم في نظر الشرع مخطئون إذا ما أصابوا مجرمون إذا ما أخطأوا ، أصابوا على غير طريق الصواب ، إذ لم يضعوا الكتاب والسنة نصب أعينهم بل أعرضوا عنها ابتغاء مرضاة غير الله" .

الصفحة الأخيرة

وظيفة الصحافة

عبد القادر حامد

إن وظيفة الصحافة من حيث الـمبدأ تنوير الرأي العام ، وتزويده بالحقائق التي تكشف له الطريق ، وإرساء أسس صحيحة للـحـكـم عـلـى الأمــور وهي - باخـتصـار - أداة تثقيف وتوجيه .

ولكن هذه الأداة قد تقود إلى نتائج عكسية ، أو لا توصل إلى نتيجة ، إيجابية ، فبدلاً من الـتـنـوير يكون التعتيم ، وبدلاً من كشف الحقائق تحاول سترها بأغطية صفيقة ، وعندما يتطلب الأمـر تحديد معاني الكلمات والمصطلحات تتعمد التضليل والغموض المقصود.. كل ذلك يكون عندما تتحكم بهذه الأداة عقليات معينة تريد فرض أفكارها على غيرها،وتحب أن يساق المجتمع سوقاً إلى ما تريد .

أن المجتمعات التي تبتلى بمثل هذا النوع من الصحافة تصاب بأمراض نفسية يصعب علاجها ، وينزل بها الانفصام والانقسام ، وتدب بها الفوضى الفكرية ، وتتزلزل فيها القيم الثابتة ، ويحل محلها فكر مشوه يراد له أن يملأ الفراغ ، فلا القديم النافع يبقى ؛ ولا الأفكار "الجديدة" تضرب بجذورها ، لأنها تفقد المناخ المناسب لذلك .

وهذه هي الصحافة الشائعة بين الناطقين بالعربية اليوم، صحافة الرأي الواحد، والحزب الواحد، صحافة الفكر العلماني الذي يصول ويجول ، لا رقابة عليه ولا تضييق، يتـبارى فـرســانـه بالترجمة عن غيرهم ويدعون الإبداع ، ويريدون بهذا المسخ أن يغيروا ويبدلوا، ويـهـدمــوا ويـبـنــوا، ويخيل إليهم غرورهم أنهم مصلحون وهم المفسدون، وأنهم مستقلون أحـــرار وهـــم العبـيد يخدمون الفساد والمفسدين ، ويعيشون مرتزقة لا يتقنون إلا التزلف والـتـمـلـق لأصـحـاب الأمر والنهي، والهجاء المقذع والحسد لأهل الخير والإصلاح؛ إنهم الذين يضع فيهم كل فـرعون ثقته ليكونوا عقله ولسانه ، وقليل منهم من يكون له شجاعة سحرة فرعون فيثوب للحق بعد خدمة الباطل ، ويصحو ضميره فيكفّر عما اقترب من تزوير للحقائق وتزويق للأباطيل .

تمت بعون الله ، والحمد لله